من كنوز القرآن الكريم

وقفات • فوائد • لطائف

الجزء الأول

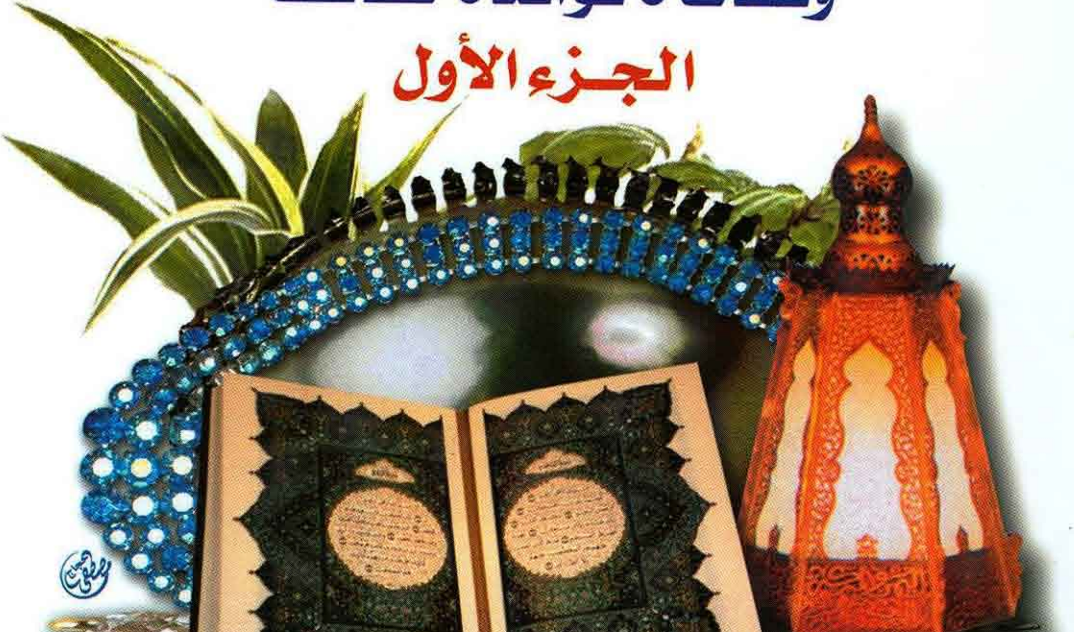

د. زيد بن محمد الرماني

دار طويق للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

من كنوز القرآن الكريم (١)

قواعد ـ وقفات ـ لطائف

إعداد :

د. زيد بن محمد الرماني

عضو هيئـة التدريس بجامعـة الإمـام محمـد

بن سعود الإسلامية

ح دار طويق للنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الرماني، زيد بن محمد
من كنوز القرآن/ زيد بن محمد الرماني - الرياض، ١٤٢٤هـ
٥ مج
ردمك: ٨-١٨٤-٤٢-٩٩٦٠ (مجموعة)
٦-١٨٥-٤٢-٩٩٦٠ (ج١)
١- القرآن - مباحث عامة أ. العنوان
ديوي ٢٢٩ ١٤٢٤/٤٥٩٥

رقم الإيداع: ١٤٢٤/٤٥٩٥
ردمك: ٨-١٨٤-٤٢-٩٩٦٠ (مجموعة)
٦-١٨٥-٤٢-٩٩٦٠ (ج١)

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م

دار طويق للنشر والتوزيع
ص.ب ١٠٢٤٤٨ الرياض ١١٦٧٥
ت/ ٢٤٩١٣٧٤ - ٢٤٨٦٦٧٧ - ٢٤٨٦٦٨٨ ف/ ٢٧٨٥٦٢٨

بريد إلكتروني E-mail: dartwaiq@zajil.net
موقعنا على الإنترنت www.dartwaiq.com.

مكتب القاهرة
هاتف/ ٤٥٩٤٦٧٩ محمول: ٠١٢٢٩٦٤٨٣٦
مساكن كورنيش النيل مدخل (٥) شقة (١) روض الفرج

مكتب الخرطوم
الخرطوم - السوق العربي - هاتف/ ٧٩٠١٣٤

تم الصف الإلكتروني والإخراج والتصحيح بدار طويق للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل أعظم المعجزات ، والصلاة والسلام على رسول المكرمات ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وصدق الله العظيم القائل في كتابه الكريم : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩ ﴾ (الإسراء ٩) .

وصدق رسوله الكريم ﷺ القائل : (القرآن حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والذكر الحكيم ، والصراط المستقيم ، الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تتشعب معه الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يمله الأتقياء ، ولا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه) .

فيا سبحان الله ، ما أعظم القرآن !! ...

فمن عجائب القران الكريم ما قاله سهل بن عبد الله التستري رحمه الله (لو أعطي العبد بكل حرف من القرآن ألف (١٠٠٠)

فهم ، لم يبلغ نهاية ما أودع الله في آية من كتابه ، لأنه كلام الله ، وكلامه صفته) .

وللأسف ، ففي هذه العصور :

فقدت ملكة التأثر بالقرآن الكريم ، وفسدت الأذواق ، وماتت القلوب .

وقديماً قال ابن القيم الجوزية رحمه الله :

(لقد أسمع منادي الإيمان لو صادف آذاناً واعية ، وشفت مواعظ القرآن لو وافقت قلوباً خالية ، ولكن عصفت على القلوب أهوية الشبهات والشهوات ، فأطفأت مصابيحها ، وتمكنت منها أيدي الغفلة والجهالة ، فانغلقت أبواب رشدها ووعظت بمواعظ أنكى فيها من الأسنة والسهام ، ولكن ماتت في بحر الجهل والغفلة وأسر الهوى والشهوة ، وما لجرح بميت إيلام) .

ومن أجل :

- التدبر لآيات القرآن .
- والتفهم لمعانيه .
- والتأثر بمراميه .
- والتذوق لبلاغته .
- والتلمس لفصاحته .

- والاستيعاب لدروسه .
- والعيش في رحابه .

كانت هذه الوقفات واللطائف والقواعد القرآنية ، علها أن تكون بداية .

والبداية شاقة ، والدرب طويل ، والطريق صعب ، والعقبة كؤود، والذئاب تعوي ، والظلام دامس ، بيد أن ضوءاً مشرقاً يبشر بمستقبل زاهر ـ إن شاء الله ـ يلوح في الأفق .

والله الموفق

المؤلف/ أخوكم :
د. زيد بن محمد الرماني
ص.ب : ٣٣٦٦٢
الرياض ١١٤٥٨

أحسن طرق التفسير

قال العلماء :

من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولاً من القرآن ، فما أُجمِل منه في مكان فقد فُسِّر في موضع آخر ، وما اختصر في مكان فقد بُسط في موضع آخر منه . فإن أعياه ذلك طلبه من السنة ، فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، كما جاء في الحديث الشريف ، لقوله ﷺ (ألا وإني أُتيت القرآن ومثله معه) يعني السنة .

فإن لم يجده في السنة رجع إلى أقوال الصحابة ، فإنهم أدرى بذلك، لما شاهدوه من القرآئن والأحوال عند نزوله ، ولما اختصوا به من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح ، وقد قال رسول الله ﷺ لابن عباس ﷺ : (اللهم فقه في الدين وعلّمه التأويل) ، وقد كان الصحابة إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل ، وكانوا يقولون : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً .

وقد رُوي ذلك عن عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما .

يقول الزركشي في (البرهان في علوم القرآن) جـ٢/١٥٦ـ ١٦ :
(للناظر في القرآن لطلب التفسير مآخذ كثيرة ، أمهاتها أربعة :

▪ الأول / النقل عن النبي ﷺ :

ولكن يجب الحذر من الضعيف منه والموضوع ، فإنه كثير ، ولذا قال أحمد بن حنبل رحمه الله : (ثلاثة كتب لا أصل لها : المغازي والملاحم و التفسير) ، وذلك لأن الغالب عليها المراسيل ، ومراده رحمه الله كتب مخصوصة في المعاني الثلاثة غير معتمد عليها ولا موثوق بصحتها ، لسوء أحوال مصنفيها ، وعدم عدالة ناقليها وزيادات القُصّاص فيها) . "المقاصد الحسنة ص ٤٨١" .

والمعنى أن الغالب عليها أنه ليس لها أسانيد صحاح متصلة .
وإن كان :

تفسير الظلم بالشرك ـ في سورة الأنعام ، آية ٨٢ .

والحساب اليسير بالعرض ـ في سورة الانشقاق ، آية ٨ .

والقوة بالرمي ـ في سورة الأنفال ، آية ٦٠ .

وإن كان هذا صحيحاً ، إلا أن الذي صح في ذلك قليل جداً .

▪ الثاني / الأخذ بقول الصحابي :

فإن تفسيره بمنزلة المرفوع إلى النبي ﷺ ، يقول الحاكم في مستدركه : (إن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل له

حكم المرفوع) ، فالصحابة أدرى ، لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزول القرآن ، ولما اختصوا به من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح .

ونقول ذلك بما فيه سبب النزول أو نحوه ، مما لا مدخل للرأي فيه ، فينبغي التحذير لذلك .

▪ الثالث / الأخذ بمطلق اللغة :

فإن القرآن نزل بلسان عربي ، وهذا قد ذكره جماعة من العلماء ، ويحذر من صرف الآية عن ظاهرها إلى معانٍ خارجة محتمله ، يدل عليها القليل من كلام العرب ، ولا يوجد غالباً إلا في الشعر ونحوه، ويكون المتبادر خلافها .

▪ الرابع / التفسير بالمقتضى من معنى الكلام ، والمقتضى من قوة الشرع :

وهذا هو الذي دعا به النبي ﷺ لابن عباس ﷺ (اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل) .

والذي عناه علي ﷺ بقوله : (إلا فهماً يؤتاه الرجل في القرآن) ويحذّر من تفسير القرآن بمجرد الرأي والاجتهاد من غير أصل .

قال سبحانه : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ (الإسراء ٣٦).

وفي الحديث عنه ﷺ (من تكلم في القرآن برأيه فأصاب ، فقد أخطأ) ، إلا أن يكون الرأي مستنداً إلى برهان ، فالقول به جائز .

يقول الماوردي رحمه الله في تفسيره " النكت والعيون جـ١/ ٣٤ ـ ٣٦ " :

(قد حمل بعض المتورعة هذا الحديث ـ السابق آنفاً ـ على ظاهره وامتنع من أن يستنبط معاني القرآن باجتهاده ، ولو صحبتها الشواهد ولم يعارض شواهدها نص صريح ، وهذا عدول عما تُعُبِّدنا بمعرفته من النظر في القرآن ، واستنباط الأحكام ، ولو صحّ ما ذهب إليه ، لم يُعلم شيء بالاستنباط ، ولما فهم الأكثرون من كتاب الله شيئاً) .

وإن صحّ الحديث فتأويله :

أنَّ مَنْ تكلم في القرآن بمجرد رأيه ، ولم يعرج على سوى لفظه وأصاب الحق ، فقد أخطأ الطريق ، وإصابته اتفاق ، إذ الغرض أنه مجرد رأي لا شاهد له ، وفي الحديث عن النبي ﷺ (القرآن ذَلُول ذو وجوه ، فاحملوه على أحسن وجوهه) ، أي أن القرآن جمع وجوهاً من الأوامر والنواهي والترغيب والتحليل والتحريم ، ينبغي حملها على أحسن معانيها ، من العزائم دون الرخص ، والعفو دون الانتقام .

وفيه دلالة ظاهرة على جواز الاستنباط والاجتهاد في كتاب الله تعالى) .

وقال أبو الليث في كتابه "بحر العلوم جـ١/ ٧٢" :

(القرآن نزل حجة على الخلق ، فلو لم يجز التفسير لم تكن الحجة بالغة ، فإذا كان كذلك ، جاز لمن عرف وجوه اللغة ولغات العرب وأسباب النزول أن يفسره) .

وقال البغوي في تفسيره " معالم التنزيل جـ١/ ٣٥ " :

(التأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وبعدها تحتمله الآية ، غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط ، غير محظور على العلماء بالتفسير، كقوله تعالى : ﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً ﴾ (التوبة ٤١).

قيل : شباناً وشيوخاً ،وقيل : أغنياء وفقراء ، وقيل : عزاباً ومتأهلين ، وقيل : نشاطاً وغير نشاط ، وقيل : أصحاء ومرضى .

وكل ذلك سائغ ، والآية تحتمله ، وأما التأويل المخالف للآية والشرع فمحظور ، لأنه تأويل الجاهلين ، مثل تأويل الروافض ،

قال تعالى : ﴿ مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ﴾ (الرحمن ١٩) ، فهم يقولون أنهما علي وفاطمة .

وقال تعالى : ﴿ يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴾ (الرحمن ٢٢) ، فهم يقولون أنه يعني الحسن والحسين).

عن ابن عباس ﷺ قال :

التفسير أربعة أوجه :

وجهٌ تعرفه العرب من كلامها ،وتفسيرٌ لا يعذر أحد بجهالته (الحلال والحرام) ، وتفسيرٌ يعلمه الحكماء،وتفسيرٌ لا يعلمه إلا الله تعالى "المتشابه" .

فأما الذي تعرفه العرب : فهو الذي يُرجع فيه إلى لسانهم ، وذلك اللغة والإعراب .

وأما الذي لا يُعذر أحد بجهله : فهو ما تتبادل الأفهام إلى معرفة معناه من النصوص المتضمنة شرائع الأحكام ودلائل التوحيد.

شروط المفسر وآدابه

١ - صحة الاعتقاد : فإن من كان مغموصاً عليه في دينه ، لا يؤتمن على الدنيا ، فكيف على الدين .

٢ - السلامة من البدع وتعظيم القرآن والاعتقاد أنه كلام الله .

٣ - التوبة والإنابة إلى الله ، يقول ابن قيم الجوزية في "البيان في أقسام القرآن" :(لا يدرك معاني القرآن ولا يفهمه إلا القلوب الطاهرة ، وحرام على القلب المتلوث بنجاسة البدع والمخالفات أن ينال معانيه وأن يفهمه كما ينبغي) .

ويقول البخاري في صحيحه في قوله تعالى : ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴾ : لا يجد طعمه إلا من آمن به .

ويقول الزركشي في "البرهان جـ٢/١٨٠" :(أصل الوقوف على معاني القرآن ، التدبر والتفكر ، واعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي حقيقة ، ولا يظهر له أسرار العلم من غيب المعرفة وفي قلبه بدعة أو إصرار على ذنب ، أو في قلبه كِبْرٌ أو هوى أو حب الدنيا ، أو يكون غير متحقق الإيمان ، أو ضعيف التحقيق

راجعاً إلى معقوله ، وهذه كلها حُجُبٌ وموانع ، بعضها آكد من بعض) .

٤ - توخي الحذر في البعد عن الهوى والشطط ، وصمام الأمان في ذلك :

أ) أن يفسر القرآن بالقرآن .

ب) ثم بالسنة المطهرة .

ج) ثم بأقوال الصحابة الكرام .

د) ثم بأقوال التابعين .

هـ) ثم يعتمد في ذلك على التفاسير المعتمدة عند أهل السنة .

٥ - الإخلاص : أي صحة المقصد فيما يقول ليلقى التسديد وإنما يخلص له القصد إذا زهد في الدنيا ، لأنه إذا رغب فيها ، لم يؤمن أن يتوسل به إلى غرض يصده عن صواب قصده ، ويفسد عليه صحة عمله.

٦ - أن يكون ممتلئاً من عُدّة الإعراب ، لا يلتبس عليه اختلاف وجوه الكلام ، فإنه إذا خرج بالبيان عن وضع اللسان ، إما حقيقة أو مجازاً ، فتأويله تعطيله .

إحاطة المفسِّر بعلومٍ مختلفة

يجوز تفسير القرآن لمن كان جامعاً للعلوم التي يحتاج المفسر إليها وهي خمسة عشر علماً :

١ - **علم اللغة :** معرفة الألفاظ المفردة بحسب دلالتها على ما وضعت له بحسب جوهرها .

لأن بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها بحسب الوضع قال مجاهد : (لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب ، إذا لم يكن عالماً بلغات العرب) .

٢ - **علم الاشتقاق :** معرفة مناسبة بعض الألفاظ المفردة إلى بعض ، لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين ، اختلف المعنى باختلافهما ، كالمسيح ، هل هو من السياحة أو المسح ؟! .

وأما ما لا يعلمه إلا الله تعالى : فهو ما يجري مجرى الغيوب ، نحو الآيات المتضمنة قيام الساعة ، وتفسير الروح ، والحروف المقطعة ، وكل متشابه في القرآن عند أهل الحق .

وأما ما يعلمه العلماء ويرجع إلى اجتهادهم ، فهو الذي يغلب عليه إطلاق التأويل ، وذلك استنباط الأحكام ، وبيان المجمل وتخصيص العموم .

وجملة ما تحصّل في معنى حديث الرسول ﷺ : ((من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ)) ، خمسة أقوال :

الأول : التفسير من غير حصول العلوم التي يجوز معها التفسير .

الثاني : تفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله .

الثالث : التفسير المقرر للمذهب الفاسد ، بأن يجعل المذهب أصلاً والتفسير تابعاً .

الرابع : التفسير بأن مراد الله كذا على القطع من غير دليل .

الخامس : التفسير بالاستحسان والهوى .

٣ - **علم التصريف :** معرفة أحكام ما يعرض للألفاظ المفردة من الأبنية والصيغ ، لأن به تعرف الأبنية والصيغ .

قال ابن فارس : (ومن فاته علمه ، فاته المعظم ، لأن "وَجَدَ" مثلاً كلمة مبهمة ، فإذا صرفناها اتضحت بمصادرها) .

٤ - **علم النحو :** معرفة أحكام ما يعرض للألفاظ باعتبار التركيب من الإعراب بحسب دلالتها على أصل المعنى .

لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب ، فلا بد من اعتباره ، يقول الحسن : (إن الرجل ليقرأ الآية فيعيا بوجهها ، فيهلك فيها).

٥ - **علم المعاني :** معرفة خواص تركيب الكلام من جهة إفادتها لازم أصل المعنى ، وهو الذي يعبر عنه بمعنى المعنى .

٦ - **علم البيان :** معرفة خواص تركيب الكلام من حيث اختلافها ، بحسب وضوح الدلالة وخفاها وزيادتها ونقصها .

٧ - **علم البديع :** معرفة وجوه تحسين الكلام ، من المحسنات المعنوية واللفظية ، وهذه العلوم الثلاثة (المعاني والبيان والبديع) هي علوم البلاغة ، وهي من أعظم أركان المفسِّر ، لأنه لا بد له من مراعاة ما يقتضيه الإعجاز ، وإنما يُدرك بهذه العلوم .

يقول ابن أبي الحديد : (اعلم أن معرفة الفصيح والأفصح ، والرشيق والأرشق من الكلام أمرٌ لا يُدرك إلا بالذوق ، وليس كل من اشتغل بالنحو واللغة والفقه يكون من أهل الذوق ، وممن يصلح لانتقاء الكلام ، وإنما أهل الذوق الذين اشتغلوا بعلم البيان ،

وروضوا أنفسهم بالرسائل والخطب والكتابة والشعر ، وصارت لهم بذلك دُرْبة ومكنةً تامة) .

وقال الزمخشري : (من حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز أن يتعاهد بقاء النظم على حسنه ، والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدي سليماً من القادح) .

٨ - **علم القراءات :** معرفة ما يتعلق بذات التنزيل ، لأن به يعرف كيفية النطق بالقرآن ، وبالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض .

٩ - **علم أسباب النزول والقصص :** معرفة ما يتعلق بالأسباب التي نزلت عندها الآيات ، وتلك المعرفة تحصل بمطالعة الكتب المدونة في أسباب النزول .

إذ بسبب النزول يعرف معنى الآية المنزلة فيه بحسب ما أُنزلت فيه .

وشرح القصص التي تنطوي عليها السور في ذكر الأنبياء والقرون السابقة (علم الآثار والأخبار) .

١٠ - **علم أصول الفقه :** معرفة الناسخ والمنسوخ ، والعموم والخصوص ، والمجمل والمبين ، والمحكم والمتشابه ، والظاهر والمؤول ، والمنطوق والمفهوم ، والاقتضاء والإشارة ، والدلالة والإجماع والقياسات الشرعية .

إذ به يعرف الاستدلال على الأحكام والاستنباط .

١١ - **علم الفقه والأخلاق :** معرفة أحكام الدين وآدابه ، وآداب السياسات الثلاث (التي هي سياسة النفس والأقارب والرعية) .

١٢ - **علم السنن :** ذكر السنن المنقولة عن النبي ﷺ وعن أصحابه الذين شاهدوا الوحي مما اتفقوا عليه ، ومما اختلفوا فيه ، مما هو بيان لمُجْمل ، أو تفسير لمُبهْم .

١٣ - **علم النظر والكلام :** معرفة الأدلة العقلية ، والبراهين الحقيقية ، والتقسيم والتحديد ، والفرق بين المعقول والمظنون ، وغير ذلك .

١٤ - **علم أصول الدين :** بما في القرآن من الآيات الدالة بظاهرها على ما لا يجوز على الله تعالى .

١٥ - **علم الموهبة :** وهو علم يورثه الله تعالى لمن عمل بما علم واتقى وأحسن ، ولذا قيل : (من عمل بما عَلِم ورثّه الله علم ما لم يعلم) .

يقول ابن أبي الدنيا : (وعلوم القرآن وما يستنبط منه بحرٌ لا ساحل له ، فهذه العلوم ـ التي هي كالآلة للمفسر ـ لا يكون مفسراً إلا بتحصيلها ، فمن فسر بدونها كان مفسراً بالرأي المنهي عنه) .

ويقول الكافيجي : (فمن تكاملت له هذه العلوم خرج عن كونه مفسراً للقرآن برأيه ، ومن فاته بعض ذلك مما ليس بواجب معرفته في تفسير القرآن ، وأحسن من نفسه في ذلك ، واستعان بأربابه ، واقتبس منهم واستضاء بأقوالهم ، لم يكن ـ إن شاء الله ـ من المفسرين برأيه) .

قواعد تفسيرية

١ قال ﷺ : (القرآن ذَلُولٌ ذو وجوه ، فاحملوه على أحسن وجوهه) .

ذَلُولٌ : أي مطيع لحامليه ، تنطق به ألسنتهم ، موضِّحٌ لمعانيه حتى لا تقصر عنه أفهام المجتهدين .

ذو وجوه : أي أن من ألفاظه ما يحتمل وجوهاً من التأويل ، من الأوامر والنواهي والترغيب والترهيب والتحليل والتحريم .

فاحملوه على أحسن وجوهه : أي على أحسن معانيه ، وأحسن ما فيه من العزائم دون الرخص ، والعفو دون الانتقام .

وفيه دلالة ظاهرة على جواز الاستنباط والاجتهاد في كتاب الله تعالى.

ورد عن أبي الدرداء ﷺ أنه قال : (لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يجعل للقرآن وجوهاً) .

٢ (لكل آية ظَهْرٌ وبَطْنٌ)، وفي معنى الظَهر والبطن أوجه منها :

الأول : أنه بالبحث عن باطن الآية وقياسه على ظاهرها ، يوقف على معناها .

الثاني : أن ما من آية إلا عمل بها قوم ، ولها قوم سيعملون بها .

الثالث : أن ظاهر الآية لفظها ، وباطنها تأويلها .

الرابع : وهو أشبهها بالصواب ، أن القصص التي قصها الله تعالى عن الأمم الماضية وما عاقبهم به :ظاهرها الإخبار بهلاك الأولين ، وباطنها وعظ الآخرين ، وتحذيرهم أن يفعلوا كفعلهم ، فيحل بهم ما حل بمن كان قبلهم .

الخامس : أن ظهر الآية : ما ظهر من معانيها لأهل العلم بالظاهر ، وبطنها ما تضمنته من الأسرار التي أطلع الله عليها أرباب الحقائق .

السادس : الظاهر التلاوة ، والباطن الفهم : يقول ابن عباس ﷺ : (إن القرآن ذو شجون وفنون ، وظهور وبطون ، لا تنقضي عجائبه ولا تبلغ غايته ، فمن أوغل فيه برفق نجا ، ومن أوغل فيه

بعنف هوى ، أخبار وأمثال ، وحلال وحرام ، وناسخ ومنسوخ ، ومحكم ومتشابه ، وظهر وبطن ، فظهره التلاوة ، وبطنه التأويل ، فجالسوا به العلماء ، وجانبوا به السفهاء) .

ويقول ابن مسعود ﷺ : (من أراد علم الأولين والآخرين ، فليتنور القرآن) .

وقال بعض العلماء : (لكل آية ستون ألف فهم) .

٣ قاعدة : الأصل توافق الضمائر في المرجع حذراً من التشتت ، ولهذا لما جوز بعضهم في قول الله سبحانه و تعالى : ﴿ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِي ٱلْيَمِّ ﴾ (طه ٣٩) ، أن الضمير في الثاني للتابوت ، وفي الأول لموسى ، عابه الزمخشري في "الكشاف جـ٢/ ٢٤" ، وجعله تنافراً مخرجاً للقرآن عن إعجازه .

فقال : والضمائر كلها راجعة إلى موسى ، ورجوع بعضها إليه وبعضها إلى التابوت ، فيه هجنة لما تؤدي إليه من التنافر "تنافر النظم" .

وقال في قوله تعالى : ﴿ لِّتُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ (الفتح ٩) : الضمائر لله ، والمراد (بتعزيره) تعزير دينه ورسوله ، ومن فرّق الضمائر فقد أبعد .

ويخرج عن هذه القاعدة ، ما في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾ (الكهف ٢٢) ، فإن ضمير (فيهم) لأصحاب الكهف ، و (منهم) لليهود ، قاله ثعلب والمبرد .

ومثله ، قوله تعالى :﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ﴾ (هود ٧٧) ، قال ابن عباس ﷺ : ساء ظناً بقومه ، وضاق ذرعاً بأضيافه .

٤ قاعدة في التذكير والتأنيث :

التأنيث ضربان : حقيقي ، وغيره (مجازي) ، فالحقيقي لا تحذف تاء التأنيث من فعله غالباً ، إلا إن وقع فصل ، وكلما كثر الفصل حسن الحذف ، والإثبات مع الحقيقي أولى ، ما لم يكن جمعاً .

وأما غير الحقيقي فالحذف فيه مع الفصل أحسن ، فإن كثر الفصل ازداد حسناً ، والإثبات أيضاً حسن .

والأمثلة :قوله تعالى : ﴿ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ (البقرة ٢٧٥) ، وقوله تعالى : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ ﴾ (آل عمران ١٣) ، وقوله تعالى :﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ ﴾ (هود ٦٧) .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ ﴾ (هود ٩٤) .

وقد جمع بينهما في سورة هود .

٥ قاعدة في التعريف والتنكير : التنكير له أسباب منها :

الأول : إرادة الوحدة ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ ﴾ (القصص ٢٠) ، أي رجل واحد .

وقوله تعالى : ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِّرَجُلٍ ﴾ (الزمر ٢٩) .

الثاني : إرادة النوع ، نحو قوله تعالى : ﴿ هَٰذَا ذِكْرٌ ﴾ (ص ٤٩) أي نوع من الذكر .

وقوله تعالى : ﴿ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ﴾ (البقرة ٧) ، أي نوع غريب من الغشاوة لا يتعارفه الناس .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ ﴾ (البقرة ٩٦) أي نوع منها وهو الازدياد في المستقبل .

الثالث : التعظيم : بمعنى أنه أعظم من أن يعين ويعرف ، نحو قوله تعالى : ﴿ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ (البقرة ٢٧٩) ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ ﴾ (البقرة ١٠) ، وقوله تعالى : ﴿ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ ﴾ (البقرة ٢٥) .

الرابع : التكثير : نحو قوله تعالى ﴿ أَإِنَّ لَنَا لَأَجْرًا ﴾ (الشعراء ٤١) وفي قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ﴾ (النور ٤٥) ، إرادة الوحدة والنوعية معاً ، أي كل نوع من أنواع الدواب وكل نوع من أنواع الماء ، وكل فرد من أفراد الدواب ، وكل فرد من أفراد النطف .
وفي قوله تعالى : ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ﴾ (فاطر ٤) ، أي رسل عظام ذو عدد كثير ، وهنا اجتماع التعظيم والتكثير معاً .

الخامس : التحقير : بمعنى انحطاط شأنه إلى حد لا يمكن أن يُعرف ، نحو قوله تعالى : ﴿ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا ﴾ (الجاثية ٣٢) ، أي ظناً حقيراً لا يُعبأ به .

وقوله تعالى : ﴿ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾ (الجاثية ٣٢) ، أي من شيء حقير مهين هو مبين في قوله تعالى : ﴿ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ ﴾ (عبس ١٩) .

السادس : التقليل : نحو قوله تعالى : ﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (التوبة ٧٢) أي رضوان قليل منه أكبر من الجنات ، لأنه رأس كل سعادة .

وقوله تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾ (الإسراء ١) أي بعض ليل .

والتعريف له أسباب ، منها :

الأول : العَلَمية لإحضاره بعينه في ذهن السامع ابتداء باسم مختص به ، نحو قوله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص ١) .

وقوله تعالى ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ (الفتح ٢٩) .

الثاني : التعظيم : وقد ذكر يعقوب عليه السلام بلقبه إسرائيل لما فيه من المدح والتعظيم ، ولكونه صفوة الله ، أو سري الله .

الثالث : الإهانة : نحو قوله تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ (المسد) .

الرابع : الإشارة لتمييزه أكمل تمييز بإحضاره في ذهن السامع حساً ، نحو قوله تعالى :﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ (لقمان ١١) .

الخامس : بيان حاله من القرب والبعد ، فيؤتى بالأول بنحو هذا ، وفي الثاني بنحو ذلك وأولئك ، ولقصد تحقيره بالقرب ، نحو قوله تعالى : ﴿ أَهَـٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ ﴾ (الأنبياء ٣٦) وقوله تعالى : ﴿ أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولاً ﴾ (الفرقان ٤١) ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ﴾ (العنكبوت ٦٤) .

ولقصد تعظيمه بالبعد ، نحو قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ (البقرة ٢) ، ذهاباً إلى بعد درجته .

السادس : الإضافة لكونها أخصر طريق ، ولتعظيم المضاف ، نحو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ﴾ (الحجر ٤٢) وقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ﴾ (الزمر ٧) ، أي الأصفياء في الآيتين .

٦ قاعدة في الإفراد والجمع :

ومن ذلك :

أ) السماء والأرض : حيث وقع في القرآن ذكر الأرض فإنها مفردة ، ولم تجمع بخلاف السماوات ، لثقل جمعها وهو أرضون ،

ولهذا لما أريد ذكر جميع الأرض قال سبحانه : ﴿ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ (الطلاق ١٢) .

وأما السماء فذكرت تارة بصيغة الجمع ، وتارة بصيغة الإفراد .

والحاصل أنه حيث أُريد العدد أُتي بصيغة الجمع الدالة على سعة العظمة ، نحو قوله تعالى : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾ (الصف ١) ، أي جميع سكانها على كثرتهم .

وحيث أُريد الجهة أُتي بصيغة الإفراد ، نحو قوله سبحانه : ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ ﴾ (الذاريات ٢٢) .

ب) الريح : حيث ذكرت مجموعة ومفردة ، فحيث ذكرت في سياق الرحمة (جُمعت) ، أو في سياق العذاب (أُفردت) .

عن أُبي بن كعب قال : كل شيء في القرآن من الرياح فهو رحمة ، وكل شيء فيه من الريح فهو عذاب ، وفي الحديث : (اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً) .

وذكر في حكمة ذلك أن رياح الرحمة مختلفة الصفات والمهبات والمنافع ، وإذا هاجت منها ريح أثير لها من مقابلها ما يكسر سورتها ، فينشأ من بينهما ريحٌ لطيفة تنفع الحيوان والنبات ، فكانت

في الرحمة رياحاً ، وأما في العذاب فإنها تأتي من وجهٍ واحد ، ولا معارض لها ولا دافع .

ويخرج عن هذا ، قوله تعالى : ﴿ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ (يونس ٢٢) .

وذلك لوجهين لفظي ومعنوي .

فاللفظي : هو المقابلة ، بقوله تعالى : ﴿ جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ ﴾ (يونس ٢٢) ، ورُب شيء يجوز في المقابلة ، ولا يجوز استقلالاً ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ﴾ (آل عمران ٥٤) .

والمعنوي : هو أن تمام الرحمة هناك إنها تحصل بوحدة الريح لا باختلافها ، فإن السفينة لا تسير إلا بريح واحدة من وَجْهٍ واحد ، فإذا اختلفت عليها الرياح كانت سبب الهلاك ، والمطلوب هنا ريح واحدة ، ولهذا أكد هذا المعنى بوصفها بالطيب .

ج) إفراد النور وجمع الظلمات ، وإفراد سبيل الحق وجمع سبيل الباطل ، نحو قوله سبحانه : ﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ ﴾ (البقرة ٢٥٧) .

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾ (الأنعام ١٥٣) .

د) إفراد النار حيث وقعت ، والجنة حيث وقعت مجموعة ومفردة ، لأن الجنان مختلفة الأنواع ، فحسُن جمعها ، والنار مادة واحدة ، ولأن الجنة رحمة والنار عذاب على حدّ الرياح والريح .

هـ) إفراد السمع وجمع البصر ، لأن السمع غلب عليه المصدرية، فأفرد ، بخلاف البصر فإنه اشتهر في الجارحة .

ولأن متعلق السمع الأصوات ، وهي حقيقة واحدة ، ومتعلق البصر الألوان والأكوان ، وهي حقائق مختلفة ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ (النحل ٧٨) .

وقوله تعالى : ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ﴾ (البقرة ٧) .

٧ قاعدة في علوم القرآن : العلوم التي بينها القرآن العظيم بطريق التنصيص لا تخرج عن خمسة علوم هي :

أ) علم الأحكام : من الواجب والمندوب والمباح والمكروه والحرام .

ب) علم المخاصمة والرد : ويكون ذلك بالرد على الفرق الضالة الأربع (اليهود والنصارى والمشركين والمنافقين) .

ج) علم التذكير بآلاء الله : من بيان خلق السماوات والأرض .

د) علم التذكير بأيام الله : من بيان الوقائع التي أوجدها الله سبحانه من جنس تنعيم المطيعين وتعذيب المجرمين .

هـ) علم التذكير بالموت وما بعده : من الحشر والنشر والحساب والميزان والجنة والنار ، وحفظ تفاصيل هذه العلوم وإلحاق الأحاديث والآثار المناسبة لها (وظيفة المذكر والواعظ).

٨ قاعدة في غريب القرآن : غريب القرآن أنواع :

أ) الغريب في فن التذكير بآلاء الله :

وهي آية جامعة لجملة عظيمة من صفات الحق ، مثل آية الكرسي ، وسورة الإخلاص ، وآخر سورة الحشر .

ب) الغريب في فن التذكير بأيام الله :

وهي آية يبين فيها قصة قليلة الذكر ، أو قصة معلومة يجيء فيها بمزيد من التفصيل ، أو قصة عظيمة الفائدة تكون محل الاعتبارات الكثيرة ، مثل :

قصة حمار عزير ، وقصة غزوة بدر ، حنين ، تبوك ، وقصة يوسف عليه السلام .

ج) الغريب في فن التذكير بالموت وما بعده :

وهي آية تكون جامعة لأحوال القيامة مثلاً ، مثل سورة التكوير .

د) الغريب في فن الأحكام :

وهي آية تكون مشتملة على بيان حدود وتعيين وضع خاص ، مثل تعيين مائة جلدة في حد الزنا ، وثلاث حيض أو أطهار في عدة المطلقة ، وأنصباء المواريث .

هـ) الغريب في فن المخاصمة والرد :

وهي آية يقع فيها سوق الجواب بمنهج غريب يقطع الشبهة بأبلغ وجه ، مثل بيان شناعة عبادة الأصنام ، أو يقرن بيان حال هذا الفرق بمثل واضح ، كقوله تعالى : ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ (البقرة ١٧) .

٩ قاعدة ذكر الشيئين والكناية عنهما أو عن أحدهما ، وهي على أوجه ، منها :

الأول : الكناية عن الاسمين جميعاً ، نحو قوله تعالى : ﴿ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ﴾ (النساء ١٣٥) ، وقوله تعالى : ﴿ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ﴾ (الأنبياء ٣٠) ، وقوله تعالى : ﴿ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ ﴾ (التحريم ١٠) .

الثاني : الكناية عن الاسم الأول دون الآخر نحو قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ ﴾ (الجمعة ١١) .

الثالث: الكناية عن الاسم الآخر دون الأول، نحو قول الله سبحانه و تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ (التوبة ٣٤) .

الرابع : الكناية عن واحدة وإرادة الجميع ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ ﴾ (التوبة ٦٢) ، وقوله تعالى : ﴿ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ ﴾ (الأنعام ١٤١) ، وقوله تعالى : ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ ﴾ (البقرة ٤٥).

١٠ قاعدة في التكرار : تقول العرب : والله لا أفعل ، والله لا أفعله.

ونظائره في القرآن كثيرة ، ومنها :

قوله تعالى : ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ ﴾ (التكاثر ٣ـ ٤) ، وقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ ﴾ (الشرح ٥ـ٦)، وقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ ﴾ (الانفطار ١٧ـ ١٨) ، وقوله تعالى : ﴿ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ ﴾ (الكافرون ٢ـ٥) ، وقوله تعالى : ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ (الرحمن ١٣) ، وقوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ (المرسلات ١٥)، وقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ ﴾ (القمر ١٧) .

قال الشاعر قيس بن ذريح :

نَعِق الغراب بِبَيْن لُبنى غدرةً

كمْ كمْ وكمْ بفراق لُبنى ينعق

وقال الآخر :

من اللواتي واللتي واللاتي

يزعمن أن قد كَبِرَتْ لداتي

١١ قاعدة: كل عام يبقى على عمومه حتى يأتي ما يخصصه ، بمعنى : أن لفظ الآية الذي يحتمل أكثر من معنى يفسَّر بكل هذه المعاني حتى يقوم دليل على تخصيص أحدها دون الباقي .

يقول الطبري رحمه الله مثلاً في قوله تعالى : ﴿ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴾ (العاديات ٢) ، وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال إن الله تعالى ذكره أقسم بالموريات التي توري النيران قدحاً ، فالخيل توري بحوافرها ، والناس يوارونها بالزند ، واللسان مثلاً يوري بالمنطق ، والرجال يورون بالمكر مثلاً ، وكذلك الخيل تهيج الحرب بين أهلها إذا التقت في الحرب ، ولم يضع الله دلالة على أن المراد من ذلك بعضاً دون بعض ، فكل ما أورت النار قدحاً ، فداخلة فيما أقسم الله به لعموم ذلك بالظاهر .

١٢ قاعدة العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب :

يقول السعدي رحمه الله :

(وهذه القاعدة نافعة جداً ، بمراعاتها يحصل للعبد خير كثير وعلم غزير ، وما قاله المفسرون من أسباب النزول إنما هو على سبيل المثال لتوضيح الألفاظ).

يقول ابن تيمية رحمة الله : (قولهم هذه الآية نزلت في كذا ، لم يقصدوا أن حكم الآية مختص بأولئك الأعيان دون غيرهم ، فإن هذا لا يقوله مسلم ولا عاقل على الإطلاق) .

وقال محمد بن كعب القرضي :(إن الآية تنزل في الرجل ثم تكون عامة بعد ذلك) .

١٣ قاعدة تقديم المعنى الشرعي على المعنى اللغوي :

إذا كان للكلمة الواحدة معنيان أو أكثر ، أحدهما لغوي والآخر شرعي .

واختلف المعنيان ، قُدِّم المعنى الشرعي ، لأن القرآن نزل لبيان الشرع لا لبيان اللغة ، إلا أن تدل قرينة على إرادة المعنى اللغوي .

ومثال ما قُدِّم فيه المعنى الشرعي قوله تعالى في المنافقين : ﴿ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا ﴾ (التوبة ٨٤) ، فالصلاة لها معنيان

(لغوي : وهو الدعاء ، وشرعي : وهو صلاة الجنازة هنا) ، فيقدم المعنى الشرعي ، لأنه المقصود للمتكلم المعهود للمخاطب .

ومثال ما قُدِّم فيه المعنى اللغوي لقرينه ، قوله تعالى :﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡ ﴾ (التوبة ١٠٣) ، فالمراد بالصلاة هنا : الدعاء ، بدليل حديث مسلم في قوله :(كان رسول الله إذا أتاه قوم بصدقتهم قال "اللهم صلّ عليهم") .

١٤ قاعدة مراعاة السياق القرآني :

وهذه قاعدة مهمة ، فعلى المفسِّر ألا ينظر في الكلمة أو الجملة مستقلة بنفسها ، بل عليه أن ينظر إليها في سياق النص القرآني ، فإن ذلك معين على تحديد المعنى المراد ، لا سيما إذا كان للكلمة أو الجملة أكثر من معنى .

وبهذه القاعدة رجح الطبري وغيره من المفسرين بعض الأقوال وردوا غيرها ، ومثال ذلك : قوله تعالى :﴿ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ﴾ (البقرة ١٠٢) .

قال الطبري : زعم بعضهم أن المعني بالآية هم الشياطين ، وجميع أهل التأويل يرون هذا القول مخالف للصواب ، بل المعنيّ بالآية هم اليهود ، لأن الآيات قبل هذه الآية جاءت من الله بذم

اليهود وتوبيخهم على ضلالهم وذماً لهم على نبذهم وحي الله وآيات كتابه وراء ظهورهم مع علمهم بخطأ فعلهم ، والآية أحد تلك الأخبار عنهم .

١٥ قاعدة اختلاف القراءات في الآية يعدِّد معانيها :

إذ لا يخلو اختلاف القراءات من حالتين :

الأولى : أن يكون الاختلاف في وجوه النطق بالحروف والحركات ، كالإظهار والإدغام والإمالة والمد ، ونحو ذلك .

الثاني : أن يكون الاختلاف في الكلمات أو اختلاف الحركات الذي يؤدي إلى اختلاف المعنى ، وهذا له تأثير في التفسير .

فالاختلاف في القراءات يؤدي إلى تعدد المعاني للآية ، فلكل قراءة معناها الخاص بها ، وهذا ظاهر .

ومن أمثلة ذلك :

قوله تعالى : ﴿ سُكِّرَتۡ أَبۡصَـٰرُنَا ﴾ (الحجر ١٥) ، بالتشديد : سُدّت ، وبالتخفيف : (سُكِرت) سُحرت ، وقوله تعالى : ﴿ قَطِرَانٍ ﴾ (إبراهيم ٥٠) ، قطران : الذي تُهْنأ به الإبل ، وقَطْرآن : النحاس المذاب ، وقوله تعالى : ﴿ لَـٰمَسۡتُمُ ﴾ (النساء ٤٣) ، لا مستم : الجماع ، ولمستم : اللمس باليد .

١٦ قاعدة في فنون المخاطبات :

المخاطبات ترد في القرآن على خمسة عشر وجهاً .

١ - **عام :** خطاب عامّ، كما في قوله تعالى :﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ﴾ (الروم ٤٠_٥٤).

٢ - **خاص :** خطاب خاص، كقوله تعالى :﴿ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لأنفُسِكُمْ ﴾ (التوبة ٣٥) .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم ﴾ (آل عمران ١٠٦).

٣ - **جنس :** خطاب الجنس ، كما في قوله تعالى :﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ (النساء ١) .

٤ - **نوع :** خطاب النوع ، كما في قوله تعالى : ﴿ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ ﴾ (الأعراف ٢٦) .

٥ - **عين :** خطاب العين ، كما في قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓـَٔادَمُ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ يَـٰنُوحُ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾ .

٦ - **مدح :** خطاب المدح كما في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾.

٧ - **ذم :** خطاب الذم ، كما في قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾.

٨ - **خطاب كرامة :** كقوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾، وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ .

٩ - **خطاب هوان :** كقوله تعالى لإبليس : ﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ ﴾ (ص ٧٨) ، وقوله تعالى لأهل النار : ﴿ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا ﴾ (المؤمنون ١٠٨) ، وقوله تعالى لأبي جهل : ﴿ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ﴾ (الدخان ٤٩).

١٠ - **خطاب عَيْن :** والمراد به غيره ،كقوله تعالى : ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكّٖ مِّمَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾ (يونس ٩٤) ، وقوله تعالى : ﴿ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي ﴾ (المائدة ١١٦) ، وقوله تعالى : ﴿ ءَأَنتُمۡ أَضۡلَلۡتُمۡ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ (الفرقان ١٧).

١١ - **خطاب تلوّن :** التلوين المراد به ما يعرف في البلاغة بالالتفات ، كما في قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾ ثم قال : ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ (يونس ٢٢) ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا﴾ ثم قال : ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾ (الروم ٣٩) ، وقوله تعالى : ﴿ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ ﴾ ثم قال : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾ (الحجرات٧) .

١٢ - **خطاب الجمع بلفظ واحد :** كقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ ﴾ (الانشقاق ٦) ، وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ ﴾ (الانفطار ٦).

١٣ - **خطاب الواحد بلفظ الجمع :** كقوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴾ (المؤمنون ٩٩) ، وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ (المؤمنون ٥١) ، وهو خطاب نبينا محمد ﷺ .

١٤ - **خطاب الجمع بلفظ الاثنين :** خطاب الواحد والجمع بلفظ التثنية ، كقوله تعالى : ﴿ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ ﴾ (ق ٢٤) .

١٥ - **خطاب الاثنين بلفظ الواحد :** كقوله تعالى : ﴿ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ ﴾ (طه ٤٩) .

١٧ قاعدة في الابتداءات والجوابات :

وتسمى تراجع الخطاب ، والجواب يكون انتهاء ، والسؤال يكون ابتداء .

والسؤال يكون ذكراً ، والجواب يكون أنثى ، فإذا اجتمع الذكر والأنثى يكون منه نتائج وتولدات .

وترد أنواع الجوابات في نص القرآن على أربعة عشر وجهاً :

١ - **جواب موصول بابتداء :**

كقوله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾ (الإسراء ٨٥) .

وقوله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ﴾ (البقرة ٢٢٠) .

وقوله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ﴾ (البقرة ٢١٧) .

وقوله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ﴾ (البقرة ٢١٩).

وقوله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ ﴾ (البقرة ٢١٩) .

وقوله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى ﴾ (البقرة ٢٢٢) .

٢ - جواب مفصول عن الابتداء ، وهو نوعان :

أ - : أن يكون الابتداء والجواب في سورة واحدة ، كقوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَـٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ ﴾ (الفرقان ٧) ، فجوابه فيها (السورة) بقوله تعالى :﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ ﴾ (الفرقان ٢٠) .

وكقوله تعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ (البقرة ١٨٣) ، فجوابه بقوله تعالى : ﴿ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ (البقرة ١٨٥) .

ب - : أن يكون الابتداء في سورة ، والجواب في سورة أخرى كقوله تعالى : ﴿ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَـٰنُ ﴾ (الفرقان ٦٠) ، وجوابه في قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَـٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ (الرحمن ١-٢) .

وكقوله تعالى : ﴿ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴾ (القمر ٤٤) ، وجوابه في قوله تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴾ (الصافات ٢٥) .

٣ - جواب مضمر في الابتداء :

كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ (الرعد ٣١) ، جوابه مضمر فيه ، أي (لكان هذا القرآن) .

٤ - جواب مجّرد عن ذكر الابتداء :

كقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ ﴾ (المائدة ٩٣) ، فإنه في جواب الصحابة بقولهم : فكيف من شرب الخمر قبل تحريمها ومات.

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾ (البقرة ١٤٣) ، في جواب أناس قالوا : كيف بمن صلى إلى بيت المقدس قبل تحويل القبلة ؟ .

٥ - جوابان لابتداء واحد :

جوابان لسؤال واحد ، كقوله تعالى : ﴿ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ (الزخرف ٣١) ، فله جوابان :

الأول : قوله تعالى : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ ﴾ (الزخرف ٣٢) .

الثاني : قأوله تعألى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ﴾ (القصص ٦٨) .

٦ - جوابات لسؤال واحد :

نحو قوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴾ (الدخان ١٤)، جوابه بقوله تعالى : ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴾ (التكوير ٢٢) .

وقوله تعالى : ﴿ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴾ (القلم ٢) .

وقوله تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ﴾ (الأعراف ١٨٤) .

٧ - جواب محذوف :

كقوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ ﴾ (البقرة ٨٩) ، جوابه قوله تعالى : ﴿ كَفَرُواْ بِهِ ﴾ (البقرة ٨٩) ، وهو محذوف .

٨ - جواب راجع إلى فصل غير متصل بالجواب :

كقوله تعالى : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ﴾ (العنكبوت ١٦) ، جوابه قوله تعالى : ﴿ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ ﴾ (العنكبوت ٢٤) .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ ﴾ (يس ٤٥) ، فجوابه قوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (يس ٤٨) .

٩ - جواب في ضمن الكلام :

(فكما) في سورة (ص) ، لما زعم الكفار أن محمداً غير رسولٍ بالحق، نزلت الآية مؤكدة بالقسم لتأكيد رسالته .

قال تعالى : ﴿ صٓ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَعَجِبُوا ﴾، وقوله تعالى : ﴿ قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴾، إلى قوله تعالى : ﴿ هَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ﴾.

١٠ - جواب في نهاية كلام :

كقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ (الحج ٢٥) ، جوابه قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ ﴾.

وقوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ ﴾ (الكهف ٢٢) ، جوابه قوله تعالى : ﴿ قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم ﴾.

١١ - جواب مُدْخَل في كلام :

(أي اشترك فيه لفظ السؤال ولفظ الجواب) ، كقوله تعالى : ﴿ مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ ﴾ (يوسف ٧١-٧٢) .

وقوله تعالى : ﴿ إِذْ دَخَلُواْ عَلَيْهِ فَقَالُواْ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴾ (الذاريات ٢٥) .

١٢ - جواب موقوف على وقت :

كقوله تعالى : ﴿ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ (غافر ٦٠) ، فقالت الصحابة : متى وقت إجابة الدعاء ؟ ، فنزلت ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ (البقرة ١٨٦) .

وقوله تعالى : ﴿ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴾ (نوح ١٠) ، قالوا : متى وقت الاستغفار ؟ ، فنزلت :﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴾ (آل عمران ١٧) .

١٣ - جواب الشرط والجزاء :

بالفاء مرفوع وبغير الفاء مجزوم ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ﴾ (المائدة ٩٥) .

وقوله تعالى : ﴿ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا ﴾ (الجن ١٣) ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ (التغابن ١١) .

وأما جواب الأمر والنهي والدعاء والتمني والاستفهام والعرض بغير فاء فمجزوم وبالفاء منصوب .

الأمر ـ كقوله تعالى : ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ ﴾ (يوسف ١٢) ، وقولـه تعالى : ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾ (الأحزاب ٣٢) ، وقوله تعالى : ﴿ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (النساء ٧٣) .

١٤ - جواب القسم :

وأقسام القرآن ثلاثة أنواع :

أ) قسم بأسماء الله تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ ﴾ .

ب) قسم بمفعولاته : ﴿ وَٱلْفَجْرِ ﴾ ، ﴿ وَٱلشَّمْسِ ﴾ ، ﴿ وَٱلْعَصْرِ ﴾

ج) قسم بأفعاله : ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴾ (الشمس ٥-٦) .

ولا بد للقسم من جواب ، إما بإثبات أو بنفي ، وتأكيد الإثبات يكون بـ إنّ ، وباللام ، أو بهما معاً ، كقوله تعالى : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾ (العصر ١-٢) .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱلْفَجْرِ ﴾ ، إلى قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ (الفجر ١٤) .

وقوله تعالى : ﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ﴾ (الذاريات ٢٣) .

١٨ قاعدة في الوجوه والنظائر (الأشباه والنظائر) :

علم الوجوه والنظائر فرع من علم تفسير القرآن الكريم ، إذ هو علم يبحث في كل لفظ في القرآن ورد في أكثر من آية ، وكانت

دلالته على معناه في كل واحدة منها غير معناه في الآيات الأخرى التي ورد فيها .

والفرق بين التفسير بالوجوه والنظائر ، والتفسير المألوف للمفردات يتمثل فيما يلي :

١ - التفسير بالوجوه والنظائر يختص بنوع واحد من المفردات فيذكر عدد الوجوه التي دل عليها اللفظ في جميع ما ذكر من آيات ، مستعيناً على ذلك بما يرشده إليه موضعها في الآية ، ثم يذكر لكل وجه جميع الآيات أو بعضها مما ورد بها اللفظ ودل عليه .

٢ - التفسير للمفردات يأتي باللفظ الوارد في القرآن ، فيذكر معناه أو معانيه في اللفظ على طريقة أصحاب المعاجم مستعيناً باللغة أو ما فسره المفسرون ، دون أن يذكر لفظ الوجوه .

وهذا العلم ليس من العلوم المستحدثة ، وإنما وجد منذ عصر الرسول ﷺ .

ورد عن أبي الدرداء ﷺ قوله : لا يكون الرجل فقيهاً كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوهاً كثيرةً .

وورد عن على بن أبي طالب ﷺ أنه قال : القرآن حمّال ذو وجوه .

وقال أبو العالية : كل آية نزلت في القرآن يذكر فيها حفظ الفروج فهو من الزنى ، إلا هذه الآية ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾ (النور ٣١) ، أن لا يراها أحد .

وقال عكرمة :

"ما صنع الله فهو السُّدُّ ، وما صنع الناس فهو السَّدُّ" .

وقال أحمد بن فارس : "كل ما في القرآن من ذكر الأسف ، فمعناه الحزن ، إلا في قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ﴾ (الزخرف ٥٥) ، فمعناه (أغضبونا) .

وكل ما فيه من سخر فالاستهزاء ، إلا في قوله تعالى :

﴿ سُخْرِيًّا ﴾ (الزخرف ٣٢) ، فهو من التسخير والاستخدام .

وقد استعملت الأشباه والنظائر في علم الفقه ، وفي علم النحو وفي الشعر .

فقد اشتهرت كثير من الكتب بهذا الاسم منها :

لابن نجيم كتاب في الفقه سماه "الأشباه والنظائر" .

وللسيوطي كتاب في الشعر سماه "الأشباه والنظائر" .

وللخالدَيْن كتاب في الشعر سمياه "الأشباه والنظائر" .

وفي القرآن الكريم كانت هناك كتب مثل :

"الأشباه والنظائر في القرآن" — لمقاتل (١٥٠هـ) .

"الوجوه والنظائر في القرآن" — للدافعاني (٤٧٨هـ) .

"نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر" - لابن الجوزي (٥٩٧هـ) .

والمعنى :

معنى الوجوه والنظائر أن تكون الكلمة الواحدة ذكرت في مواضع من القرآن على لفظ واحد ، وحركةٍ واحدة ، وأُريد بكل مكان معنى غير الآخر ، فلفظة كل كلمة ذكرت في موضع نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر (وهو النظائر) ، وتفسير كل كلمة بمعنى غير معنى الأخرى (هو الوجوه) .

فإذن النظائر : اسم للألفاظ .

والوجوه : اسم للمعاني .

مثاله : أمّة .

الوجوه :

١ - عصبة .

٢ - ملّة .

٣ - سنين .

النظائر :

١) عصبة : في السور التالية :

سورة البقرة من آية ١٢٨ـ١٤١ .

سورة آل عمران الآية ١١٣ .

سورة الأعراف من آية ١٥٩ -١٨١ .

٢) ملّة : في السور التالية :

سورة يونس الآية ١٩ .

سورة الأنبياء آية ٩٢ .

سورة الأنعام آية ١٠٨ .

سورة الزخرف آية ٣٣ .

٣) سنين : في السور التالية :

سورة هود آية ٨ .

سورة يوسف آية ٤٥ .

انظر الصفحة التالية :

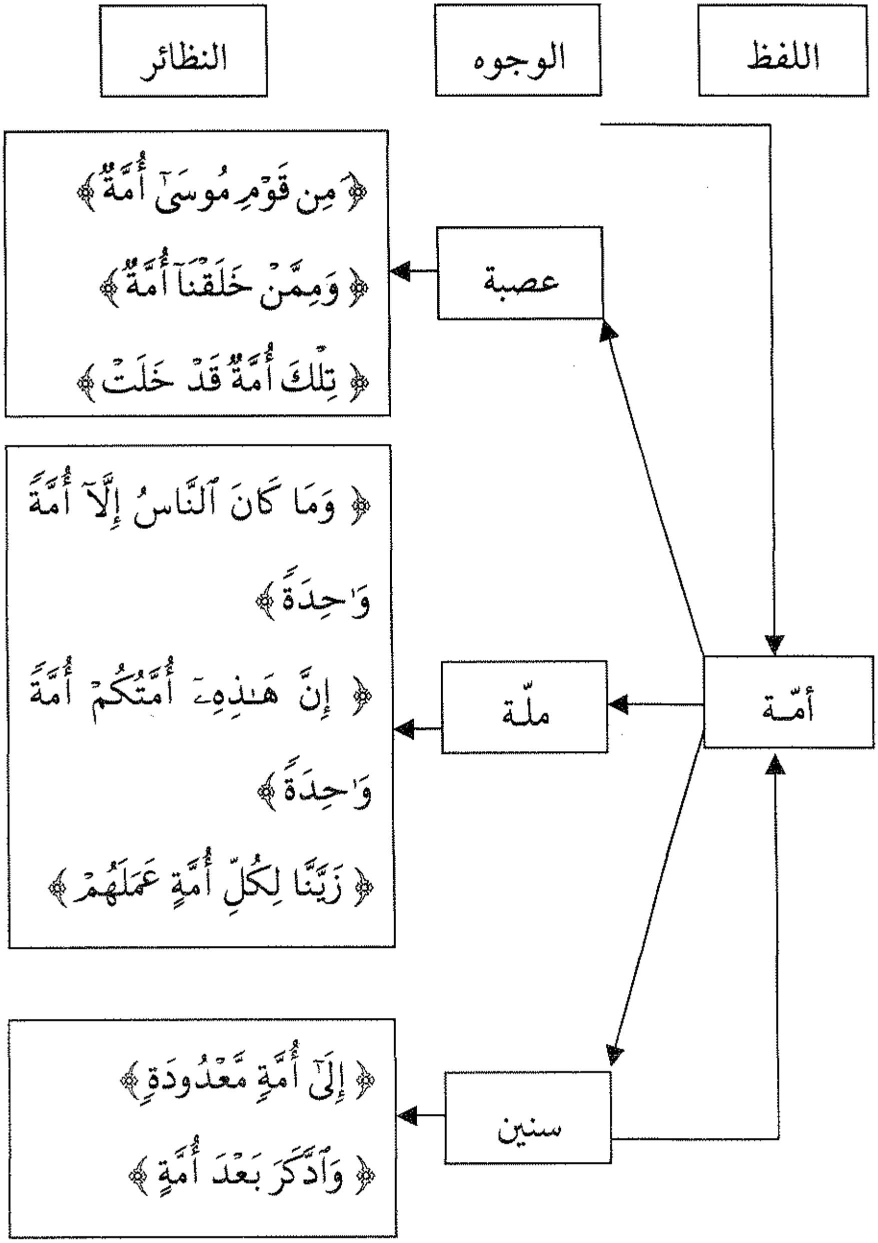
اللفظ
الوجوه
النظائر
أمّـة
عصبة
﴿مِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ﴾
﴿وَمِمَّنۡ خَلَقۡنَآ أُمَّةٌ﴾
﴿تِلۡكَ أُمَّةٌ قَدۡ خَلَتۡ﴾
ملّة
﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾
﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾
﴿زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ﴾
سنين
﴿إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعۡدُودَةٍ﴾
﴿وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ﴾

وقفات قرآنية

١) قوله تعالى : ﴿ الٓمٓ ﴾ كُرر في ست سور هي :

(البقرة ، آل عمران ، العنكبوت ، الروم ، لقمان ، السجدة) وزيد في الأعراف صاداً ﴿ الٓمٓصٓ ﴾، لقوله تعالى : ﴿ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ ﴾ ، وزيد في الرعد راءً ، لقوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ﴾.

ومن المعلوم أن أحرف الهجاء في أوائل سور القرآن من المتشابه الذي استأثر الله سبحانه بعلمه ، وهي سر القرآن ، وفائدة ذكرها طلب الإيمان بها .

٢) جاء في قوله تعالى : ﴿ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ ﴾ (البقرة ٢٣) ، فهنا ذكرت (مِّن) وحذفت في سورة يونس : ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾ (يونس ٣٨) ، وفي سورة هود ﴿ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ ﴾ (هود ١٣) .

ذلك لأن (مِنْ) في سورة البقرة ، للتبعيض أو للتبيين ، والمعنى : فأتوا بسورة مما هو على صفته من البلاغة وحسن النظم .

ويجوز جعل (مِنْ) زائدة على قول الأخفش : بتقدير رجوع الضمير في (مثله) إلى (ما) ، وذلك في قوله تعالى : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا ﴾ (البقرة ٢٣) ، وهو الأوجه .

والمعنى : فأتوا بسورة مماثلة للقرآن في البلاغة وحسن النظم .

ويجوز جعل (مِنْ) للابتداء ، بتقدير رجوع الضمير في (مثله) إلى (عبدنا) : أي محمد ﷺ ، والمعنى : فأتوا بسورة مبتدأة مِنْ شخص مثل محمد ﷺ .

٣) تأتي (كان) في القرآن الكريم لخمسة معانٍ :

أولاً : للحال ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾ (النساء ١٠٣) .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ﴾ (البقرة ١٤٣) .

وقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ (الأحزاب ٩) .

ثانياً : للماضي ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ فِي ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ ﴾ (النمل ٤٨) ، وهو الأصل في معانيها.

ثالثاً : للاستقبال ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴾ (الإنسان ٧) .

رابعاً : للدوام ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ (الفتح ٤) .

خامساً : بمعنى صار ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(البقرة ٣٤) ، في حق إبليس لعنة الله .

٤) كل ما جاء في السؤال في القرآن أجيب عنه بـ (قُلْ) بلا فاء ، كما في قوله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ ﴾ (البقرة ١٨٩) .

أما في قوله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴾ (طه ١٠٥) ، كان الجواب بالفاء ، ذلك لأن الجواب في الجميع كان بعد وقوع السؤال ، وفي سورة طه قبله ، إذ أن تقديره : إن سُئلت عن الجبال فقلْ .

٥) ذُكر قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ في سورة الحجرات خمس مرات ، في قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ (الحجرات ١) .

وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ ﴾ (الحجرات ٢) .

وقوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ (الحجرات ٦) .

وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ ﴾ (الحجرات ١١) .

وقوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ ﴾ (الحجرات ١٢) .

والمخاطبون فيها هم المؤمنون ، والمخاطب به أمر أو نهي ، وذكر في السورة (الحجرات) قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ (الحجرات ١٣) ، مرة واحدة ، والمخاطبون فيها المؤمنون والكافرون ، كما أن المخاطب به وهو قوله تعالى : ﴿ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ ﴾ (الحجرات ١٣) ، يعممها ، فناسب فيها ذكر الناس .

٦) جاء قوله تعالى : ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾في سورة الرحمن إحدى وثلاثين مرة ، ثمان منها ذكرت عقب آيات فيها تعداد عجائب خلق الله ، وبدائع صنعه ، ومبدأ الخلق ، ومعادهم .

ثم سبع منها عقب آيات فيها ذكر النار وشدائدها ، بعدد أبواب جهنم ، وحسن ذكر الآلاء عقبها لأن من جملة الآلاء دفع البلاء وتأخير العقاب ، وبعد هذه السبع و الثمان في وصف الجنتين وأهلهما بعدد أبواب الجنة ، وثمان أخرى بعدها في الجنتين اللتين هما دون الجنتين الأوليتين، أخذاً من قوله تعالى : ﴿ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾ (الرحمن ٦٢) ، فمن اعتقد الثماني الأولى ، وعمل بموجبها ، استحق هاتين الثمانيتين من الله ، ووقاه السبع السابقة .

٧) جاء في سورة الرحمن قوله تعالى : ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴾ (الرحمن ١٤) .

وفي سورة الحجر : ﴿ مِن صَلْصَـٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ (الحجر ٣٣) .

وفي سورة الصافات : ﴿ مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾ (الصافات ١١) ، أي من طين أسود متغير ، أي لازم يلصق باليد .

وفي سورة آل عمران: ﴿ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾ (آل عمران ٥٩).

والمعنى : اتفاق الآيات كلها على أن الله سبحانه خلق آدم من تراب ، ثم جعله طيناً ، ثم حمأ مسنوناً ، ثم صلصالاً .

٨) جاءت كلمة (سبّح) في القرآن من حيث :

أ) التعبير بالماضي :

كما في قوله تعالى : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (الحديد ١) .

وفي قوله تعالى: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (الحشر ١).

وفي قوله تعالى: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (الصف ١).

وختمت آية الحديد بقوله : ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (الحديد ١) .

وختمت آية الحشر بقوله : ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (الحشر ١) .

وختمت آية الصف بقوله : ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ (الصف ١) .

ب) التعبير بالمضارع :

كما في قوله تعالى : ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (الجمعة ١) .

وفي قوله تعالى : ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (التغابن ١) .

وختمت آية الجمعة بقوله تعالى : ﴿ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾(الجمعة ١) .

وختمت آية التغابن بقوله تعالى : ﴿ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (التغابن ١) .

ج) التعبير بالأمر :

كما في قوله تعالى : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ (الأعلى ١) .

د) التعبير بالمصدر :

كما في قوله تعالى : ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ (الإسراء ١) .

وبهذا تم استيعاب الجهات المشهورة لهذه الكلمة ، حيث بدأ بالمصدر في الإسراء ، لأنه الأصل ، ثم بالماضي لسبق زمانه ، ثم بالمضارع لشموله الحال والمستقبل ، ثم بالأمر لخصوصه بالحال .

٩) جاء قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ ﴾ في سورة الطلاق ، ثلاث مرات :

أ) قوله : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ (الطلاق ٢) .

ب) قوله : ﴿ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (الطلاق ٣) .

وقوله : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾ (الطلاق ٤) .

ج) قوله : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴾ (الطلاق ٥) ، وفي هذا إشارة إلى تعداد النعم المترتبة على التقوى ، من أن يجعل الله لمن اتقاه في دنياه مخرجاً من كرب الدنيا والآخرة ، ويرزقه من حيث لا يخطر بباله ، ويجعل له في دنياه وآخرته من أمره يسراً ، ويكفر عنه سيئاته ، ويعظم له أجراً .

١٠) تُحفْة إبراهيم عليه السلام : هي اللحم ،وتُحفْة مريم كانت الرطب ، ويحكى أن الشعبي دخل على صديق له فتحدثا ساعة ، فلما أراد القيام ، قال له : لا نفترق إلا عن ذواق.

فقال الشعبي : أتحفْني بما عندك ولا تتكلف لي ما لا يحضرك .

فقال : أي التحفتين أحبُّ إليك ؟ ،تحفة إبراهيم أم تحفة مريم؟ .

فقال الشعبي : أما تحفة إبراهيم فعهدي بها الساعة ، وأريد تحفة مريم .

فدعا له بطبق من رُطب .

وإنما عنى بتحفة إبراهيم اللحم ، لأن في قصته ، ﴿ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴾ (هود ٦٩) .

وعني بتحفة مريم الرطب ، لأن في قصتها ، ﴿ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾ (مريم ٢٥) .

١١) صَرْحُ هامان :

بناه لفرعون من الآجُرّ ، وهو أول من استعمله ، كما حكى الله تعالى عن فرعون ، إذ قال :﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ (القصص ٣٨) .

ويحكى أن عبد الله بن خازم قال يوماً لقهرمانه (صاحب بيت ماله) : إلى أين تمضي ياهامان ؟.

قال أبني لك صرحاً ، فعجب من جوابه ، لأنه أشار إلى أنه فرعون إن كان هو هامان .

١٢) حِكْمة لقمان :

قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَـٰنَ ٱلْحِكْمَةَ ﴾ (لقمان١٢) ، وحكى عنه مواعظه ووصاياه لابنه ، ونسب إليه سورة من كتابه ، فما الظن بمن ثبت الله له حكمته ، وارتضى كلامه ؟! .

أليس حقيقياً أن يضرب به المثل ؟! .

ويروى أنه كان عبداً حبشياً لرجل من بني إسرائيل ، فأعتقه وأعطاه مالاً ، وذلك في زمن داود عليه السلام .

ومن محاسن مواعظه لابنه قوله له : يا بني ، بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً ، يا بني لا تكن النملة أكيس منك ، تجمع في صيفها لشتائها ، يا بني ، لا يكن الديك أكيس منك ، ينادي بالأسحار وأنت نائم ، يا بني إياك والكذب ، فإنه أشهى من لحم العصفور ، يا بني إن الله تعالى يحيي القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحيي الأرض بالمطر ، يا بني اتخذ تقوى الله بضاعة تأتك الأرباح من غير تجارة .
يا بني شاور من جرب الأمور ، فإنه يعطيك من رأيه ما قام عليه بالغلاء ، وأنت تأخذه بالمجان .

١٣) عزيز مصر في القرآن ، قال تعالى : ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ﴾ (يوسف٣٠) .

وفيه أن إخوة يوسف قالوا له : ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ (يوسف ٨٨) ، وكانت هذه تحية ملوكهم وعظمائهم وإلى الآن.

قال بعض الظرفاء في الاقتباس من القرآن، من قصة يوسف عليه السلام :

أيّهذا العزيز قد مسّنا الضّر
جميعاً وأهلنا أشتاتُ
ولنا في الرِّحال شيخٌ كبيرٌ
ولدْينا بِضاعة مُزْجاةٌ

١٤) كان بعض المفسرين يقول : من أراد أن يعرف قوله جل ذكره : ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (النحل ٨) فليوقد ناراً عظيمة وسط غيضة أو في صحراء ، ثم لينظر إلى ما يغشى تلك النار من أصناف الخلق والحشرات ، فإنه سيرى صوراً ويتعرف خلقاً لم يكن يظن أن الله خلق شيئاً من ذلك في هذا العالم .

١٥) قال وكيع بن الجراح : رأيت في المنام رجلاً له جناحان ، فقلت له : من أنت ؟ .

فقال : ملك من الملائكة .

فقلت له : أسألك ؟ .

قال : سل .

فقلت : ما اسم الله الأعظم ؟ .

فقال : الله .

فقلت : وما برهان ذلك ؟ .

قال : إنه قال لموسى عليه السلام : ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ ﴾ (طه ١٤) ، ولو كان له اسم أعظم منه لقاله تعالى ذكره .

وفي قوله تعالى : ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ ﴾ (طه ١٤) ، وفي قوله تعالى : ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ﴾ (طه ١٢) ، وقوله تعالى : ﴿ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ ﴾ (الكهف ٣٩) ونظائرها فائدة حصر الخبر في المخبر عنه .

١٦) سمع أعرابي ابن عباس ﷺ يقرأ قوله تعالى : ﴿ وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَا ﴾ (آل عمران ١٠٣) .

فقال : نجونا ورب الكعبة ، ما أنقذنا منها وهو يريد أن يلقينا فيها ، فقال ابن عباس : خذوها من غير فقيه .

١٧) الشكل أفهم عن شكله ، وأسكن إليه ، وأحب إليه ، وذلك موجود في البهائم ، وضروب السباع ، وأنواع الطير ،

والصبي عن الصبي أفهم ، وإليه أسرع وبه آنس ، وكذلك العالم والعالم ، والجاهل والجاهل، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَـٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَـٰهُ رَجُلًا ﴾ (الأنعام ٩) .

والإنسان عن الإنسان أفهم ، وطباعه إلى طباعه أقرب وعلى قدر ذلك يكون موقع ما يسمع منه .

١٨) تعرض رجل للرشيد وهو في الطواف ، فقال : يا أمير المؤمنين إني مكلمك بكلام غليظ فاحتمله .

فقال : لا ، ولا كرامة لك ، إن الله قد بعث من هو خيرٌ منك إلى من هو شرٌ مني ، فقال : ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ (طه ٤٤) .

وكان يحيى بن معاذ رحمه الله ، إذا قرأ هذه الآية قال :

هذا رفقك بمن يدعي الربوبية ، فكيف رفقك بمن يُقِرُ بالعبودية.

١٩) قال بعض العلماء : العلم آلة يرتفع بها الصغير على الكبير ، والمملوك على المالك .

ألا ترى الهدهد وهو من محقرات الطير ، قال لسليمان وهو الذي وهب الله له ملكاً لا ينبغي لأحد بعده : ﴿ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ (النمل ٢٢) .

٢٠) قال بعض العلماء :

الكثرة ليست مما وجد في كتاب الله تعالى ، وإنما الممدوحون هم الأقلون ، لأننا سمعنا الله يثني على أهل القلة ، ويمدحهم ويذم أهل الكثرة ، حيث يقول تعالى : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ (البقرة ٨٣) .

ويقول تعالى : ﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ﴾ (المائدة ١٣) ، ويقول تعالى : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ (سبأ ١٣) ، وقال تعالى في ذم أهل الكثرة : ﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ (البقرة ١٠٠) ، ويقول تعالى : ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ (البقرة ٢٤٣) ، ويقول تعالى : ﴿ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ (الأعراف ١٧) .

٢١) قال سبحانه وتعالى : ﴿ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝٤٩ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ﴾ (الشورى ٤٩ـ٥٠) ، نزلت في الأنبياء ثم عمت ، فلوط لم يولد له ولد وإبراهيم لم يولد له بنت ، ومحمد كان له ذكور وإناث ، وعيسى ويحيى كانا عقيمين ، عليهم الصلاة والسلام .

٢٢) قيل لأبي العيناء : لم تدعى أبا العيناء ، وأنت أبو العمياء؟ .

فقال : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ (الحج ٤٦) ، قلوب أمثالك .

وفائدة قوله : ﴿ ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾ ، هو التأكيد ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾ (الأنعام ٣٨) ، وقوله تعالى : ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم ﴾ (الفتح ١١) ، وقوله تعالى : ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِ ﴾ (الأحزاب ٤).

وقيل : القلب يستعمل بمعنى العقل ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ ﴾ (ق ٣٧) .

٢٣) قيل لأبي العيناء : كيف تركت إبراهيم بن ميمون ؟ .

فقال : تركته ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ (النساء ١٢٠) .

٢٤) يقول ابن قيم الجوزية رحمة الله في قوله تعالى :﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (الذاريات ٢١) ، لما كان أقرب الأشياء إلى الإنسان نفسه ، دعاه خالقه وبارئه ومصوره وفاطره من قطرة ماء إلى التبصر والتفكر في نفسه ، حيث جعل فيه تسعة أبواب :

بابان للسمع ، جعل داخله مُرّاً قاتلاً ، لئلا تلج فيها دابة تخلص إلى الدماغ فتؤذيه .

وبابان للبصر ، جعل داخله مالحاً ، لئلا تذيب الحرارة الدائمة ما هناك من الشحم .

وباب للكلام ، والطعام ، والشراب ، والتنفس ، جعل داخله حلواً ليسيغ به ما يأكله ويشربه .

وبابان للشمّ .

وبابان لخروج الفضلات التي يؤذيه احتباسها .

ويقول بشار بن برد :

ما في الأرض أحسن من الإنسان ؟ .

قيل له ، فكيف ؟ .

قال : سمعت الله يقول : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾(التين ٤) .

٢٥) القرآن فيه فاضل ومفضول :

فالفاضل : كآية الكرسي ، وأول سورة الحديد ، وآخر سورة الحشر .

أي قوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ (البقرة ٢٥٥) ، وقوله تعالى : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (الحشر ١)، وقوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ (الحشر ٢٣) .

والمفضول : كقوله تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ (المسد ١). وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ (الكافرون ١) ، ونحو ذلك .

فإن ذلك كلام الله في غير الله ، بينما الفاضل كلام الله في الله ، فاكتسى الفاضل الشرف من جهتين ، واكتسى المفضول الشرف من جهة واحدة .

٢٦) جاء قوله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ﴾ (البقرة ٢١٥) .

وقوله تعالى : ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ (البقرة ٢١٧) .

وقوله تعالى : ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ (البقرة ٢١٩) .

ثم جاء ثلاث مرات بالواو في قوله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ﴾ (البقرة ٢١٩) .

وقوله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ﴾ (البقرة ٢٢٠) .

وقوله تعالى : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ (البقرة ٢٢٢) .

ذلك لأن سؤالهم عن الحوادث الأولى وقع متفرقاً ، وعن الحوادث الأخرى وقع في وقت واحد ، فجيء بحرف الجمع دلالة على ذلك .

٢٧) قال تعالى مخاطباً نبيه موسى عليه السلام : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ﴾ (طه ١٧) ، وهو سبحانه أعلم بما في يده جملة وتفصيلاً .

فائدة السؤال هو تأنيسه وتخفيف ما حصل عنده من دهشة الخطاب، وهيبة الإجلال وقت التكلم معه .

وقيل : أنه أراد بذلك أن يُقرَّ موسى عليه السلام ويعترف بكونها عصا ، ويزداد علمه بكونه عصا رسوخاً في قلبه ، فلا يحوم

حوله شك إذا قلبها ثعباناً ، وأن يُقرَّ في نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه (العصا) ، والمقلوب إليه (الثعبان) ، فيتنبه على القدرة الباهرة .

كما زاد موسى عليه السلام على حرف الجواب (وليس ذلك من شيمة البلغاء خصوصاً في مخاطبة الملوك؟) ، لأنه لما قال : ﴿ هِيَ عَصَايَ ﴾ ، سُئل سؤالاً ثانياً ، فقيل : ما تصنع بها ؟ .

فأجاب بباقي الآية : ﴿ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴾(طه ١٨) ، كما قاله ابن عباس ﵄ .

وقيل أنه إنما عدّد فوائدها وبيّن حاجته إليها خوفاً من أن يؤمر بإلقائها كما أُمِر بإلقاء النعلين ، ﴿ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾(طه ١٢) .

وقيل أنه ذكر ذلك لئلا ينسب إليه العبث في حملها .

قوله ﴿ وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴾ ، إشارة إلى ما نقل من أنها كانت تضيء له بالليل ، وتدفع عنه الهوام ، وتثمر له إذا اشتهى الثمار ، ويركزها فينبع الماء من مركزها ، ومع ذلك اكتفى بذكر المنافع التي هي ألزم له وحاجته إليها أمس ، وإن كانت تلك المنافع

المذكورة آنفاً أعجب وأغرب ، فبعد أن فصل البعض، أجمل الباقي بقوله ﴿ وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴾ .

٢٨) ذكر الله تعالى عصى موسى عليه السلام بلفظ الحيّة ، والثعبان، والجاّن ، كما في قوله تعالى :﴿ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾ (طه ٢٠) .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ (الشعراء ٣٢).

وقوله تعالى :﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ ﴾ (النمل ١٠).

وبين الثعبان والجاّن تنافٍ ، لأن الجاّن هي الحية الصغيرة ، والثعبان هي الحية العظيمة .

بيد أنه سبحانه أراد بها في صورة الثعبان العظيم ، وخفة الحية الصغيرة وحركتها .

أو أنها كانت في أول انقلابها حية صغيرة ، تزايد حجمها حتى تصير ثعباناً ، فكأنه أراد بالجان حالها ، وبالثعبان مآلها .

٢٩) قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام : ﴿ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾ (الحج ٧٨) ، والسؤال هو متى سمّانا إبراهيم عليه السلام المسلمين من قبلُ ؟!.

والجواب : كان ذلك وقت دعائه عند بناء الكعبة ، حيث قال : ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ (البقرة ١٢٨) .

فكل من أسلم من هذه الأمة فهو ببركة إبراهيم عليه السلام .

٣٠) قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ﴾ (النور ٤٥) ، وفي الآية فوائد منها :

أ - أن بعض الدواب ليس مخلوقاً من الماء كآدم عليه السلام ، وناقة صالح ، بل إن هناك من المخلوقات من هو غير مخلوق من الماء كالملائكة المخلوقة من النور ، والجِنّ المخلوقة من النار ، وحيث خلق آدم من تراب ، وناقة صالح من حجر ، وعيسى عليه السلام من الهواء .

ب - جاء في آية أخرى قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ﴾ (الأنبياء ٣٠) ، ولذا قيل : إنه سبحانه وتعالى خلق الملائكة من ريح ، خلقها من الماء ، والجِنّ من نار ، خلقها من الماء ، وآدم من تراب ، خلقه من الماء .

وكأن المراد بهذا الماء ، الماء الذي هو أصل جميع المخلوقات ، ولذا قيل : إن الكل مخلوق من الماء ، ولكن البعض بواسطة والبعض بغير واسطة .

ج - في قوله تعالى : ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾ ، فائدة نحوية ، من حيث استخدام مَنْ لغير العاقل !.

بيد أن اسم الدابة يتناول المميِّز وغيره ، فالإنسان والحيوان يتناولهما لفظ دابة ، والإنسان مميِّز والحيوان غير مميِّز ، فلما غلب المميِّز على غيره ، أُجري عليه لفظ المميِّز .

د - في قوله تعالى : ﴿فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِ﴾ إشارة لطيفة من حيث إنه لا يسمّى مشياً ، إلا ما كان بقوائم ، ولا يسمّى الزحف مشياً .

بيد أن اللفظ كان من المجاز بطريق المشابه ، كما يقال مشى هذا الأمر، وفلان لا يتمشى له الأمر ، وفلان ماشي الحال .

هـ - ولأن من الدواب من يمشي على رجل واحدة ، وعلى أكثر من أربع ، ومَنْ لا يمشي أصلاً ، جاء قوله تعالى : ﴿يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾(النور ٤٥) .

٣١) قال تعالى على لسان سليمان عليه السلام : ﴿ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا ﴾ (النمل ١٦) ، باستخدام نون العظمة ، وهذا من كلام المتكبرين ، وأراد بذلك نون الجمع ، حيث عنى نفسه وأباه . وقيل : أنه كان ملكاً مع كونه نبياً ، فراعى سياسة المُلْك وتكلم بكلام الملوك .

٣٢) قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ (الأحزاب ١) ، ولم يقل يا محمد كما قال سبحانه : يا موسى ، ويا عيسى ، ويا داود ، ونحوه ! .

عدل عن ندائه باسمه إلى ندائه بالنبي والرسول إجلالاً وتعظيماً له ، كما قال سبحانه : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ ﴾ (التحريم ١) .

وقوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ ﴾ (المائدة ٦٧) .

و قوله سبحانه وتعالى ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ﴾ (الفتح ٢٩) .

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾ (آل عمران ١٤٤) .

فكان عدوله سبحانه عن نعته في هذين الموضعين لتعليم الناس أنه رسول الله ، وتلقينهم أن يُسمّوه بذلك ويدعوه به ، ولذلك ذكره بنعته لا باسمه في غير هذين الموضعين من مواضع الإخبار ، كما ذكره في النداء ، ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾ (التوبة ١٢٨).

وقوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (الأحزاب ٢١) وقوله تعالى : ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ (الأحزاب ٦) ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ﴾ (الأحزاب ٥٦) ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ ﴾ (المائدة ٨١) ، ونظائره كثيرة .

٣٣) قال تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (الأحزاب ٢١) ، وفيه إشارة لطيفة من حيث أنه ﷺ نفسه أسوة حسنة ، أي قدوة ، والأسوة اسم للمتأسى به ، أي المقتدى به .

وقيل : أن فيه خصلة من حقها أن يؤنس بها وتتبع ، وهي مواساته بنفسه أصحابه ، وصبره على الجهاد ، وثباته يوم أحد حين كسرت رباعيته وشُجّ وجهه .

٣٤) قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ ﴾ (سبأ ١٥) ولم يقل آيتان جنتان ، وكل جنة كانت آية ، أي علامة على توحيد الله تعالى .

ذلك لأنهما لما تماثلتا في الدلالة واتحدت جهتهما فيها جعلهما آية واحدة ، ونظيره قوله تعالى :﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً ﴾ (المؤمنون ٥٠) ، وقوله تعالى :﴿ وَجَعَلْنَٰهَا وَٱبْنَهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء ٩١) ، علماً بأن عيسى عليه السلام وحده آيات شتى ، حيث كلّم الناس في المهد ، وكان يحي الموتى ، ويُبرىء الأكمه والأبرص ويخلق الطير ، إلى غير ذلك من الآيات ، وأمه وحدها كانت آية ، حيث حملت به من غير زوج ، ولذا قال سبحانه : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ﴾ (آل عمران ٥٩) .

حيث خُلِق آدم من التراب ، من غير أب وأم ، وخُلِق عيسى من الهواء ، من أم .

فكان تشبيه عيسى بآدم في الوجود بغير أب ، والتشبيه لا يقتضي المماثلة من جميع الوجوه .

٣٥) قال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ (الشورى ٢٩) .

والدواب إنما هي في الأرض فقط ، والمراد في الآية ـ والله أعلم ـ فيهما بمعنى فيها ، باعتبار إطلاق لفظ التثنية على المفرد ، كما في قوله تعالى : ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ (الرحمن ٢٢) وإنما يخرج من أحدهما وهو المملح .

وقيل : إن الملائكة لهم دبيب مع طيرانهم أيضاً ، وهم مبثوثون في السماء ، ويؤيد ذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (هود ٦) فتقييده بالأرض يدل على وجود الدابة في غير الأرض من حيث المفهوم .

٣٦) للإبهام في القرآن أسباب ، منها :

أ - الاستغناء ببيانه في موضع آخر ، كقوله تعالى : ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ (الفاتحة ٧) ، فإنه مبين في قوله تعالى : ﴿ مَعَ

ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ (النساء ٦٩) .

ب - أن يتعين لاشتهاره ، كقوله تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾ (البقرة ٣٥) ، ولم يقل حواء ، لأنه ليس له غيرها .

وكقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ ﴾ (البقرة ٢٥٨) والمراد : النمرود بن كنعان ، لشهرة ذلك ، لأنه المرسل إليه قَبْلُ .

وإنما ذكر فرعون في القرآن بصريح اسمه دون النمرود ، لأن فرعون كان أذكى منه ، كما يؤخذ من أجوبته لموسى ، ونمرود كان بليداً .

ولهذا قال ﴿ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾ (البقرة ٢٥٨) ، وفعل ما فعل من قتل شخص والعفو عن الآخر ، وذلك غاية في البلادة .

جـ - قصْدُ الستر عليه ، ليكون أبلغ في استعطافه ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ (البقرة ٢٠٤)

وقيل هو الأخنس بن شريق ، قد أسلم بَعْدُ وحَسُن إسلامه .

د - ألا يكون في تعيينه كبير فائدة ، نحو قوله تعالى : ﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ﴾ (البقرة ٧٣) .

قيل : بالعظم الذي يلي الغضروف .

وقوله تعالى : ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ﴾ (الأعراف ١٦٣) .

قيل إنها أيْلة (بيت المقدس) .

هـ - التنبيه على العموم ، وأنه غير خاص ، بخلاف ما لو عُيِّن (لأن العبرة بعموم اللفظ ، لا بخصوص السبب) ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا ﴾ (النساء ١٠٠) .

قيل : إنها نزلت في ضمرة بن جندب .

و - تعظيمه بالوصف الكامل دون الاسم ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ ﴾ (النور ٢٢) ، وقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ (الزمر ٣٣) ، وقوله تعالى : ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ ﴾ (التوبة ٤٠) ، والمراد في الكل أبو بكر الصديق ﷺ .

ز - تحقيره بالوصف الناقص ، نحو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ (الكوثر ٣) .

قيل إنه : أبو جهل (أبو لهب) .

٣٧) حذفت النون من : (لم يكنْ) في ثمانية عشر موضعاً من القرآن استخفافاً لسكونها .

في قوله تعالى : ﴿ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفۡهَا ﴾ (النساء ٤٠) .

وقوله تعالى : ﴿ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ ﴾ (الأنفال ٥٣)

وقوله تعالى : ﴿ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ﴾ (التوبة ٧٤) .

وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُۚ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ ﴾ (هود ١٧) .

وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرۡيَةٖ مِّمَّا يَعۡبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ (هود ١٠٩) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ (النحل ١٢٠) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ مِّمَّا يَمۡكُرُونَ ﴾ (النحل ١٢٧)

وقوله تعالى : ﴿ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ﴾ (مريم ٩) .

وقوله تعالى : ﴿ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ يَكُ شَيۡـٔٗا ﴾ (مريم ٦٧) .

وقوله تعالى : ﴿ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ﴾ (مريم ٢٠) .

وقوله تعالى : ﴿ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ ﴾ (لقمان ١٦) .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِن يَكُ كَٰذِبٗا فَعَلَيۡهِ كَذِبُهُۥ ﴾ (غافر ٢٨) .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ﴾ (غافر ٢٨) .

وقوله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ (غافر ٥٠) .

وقوله تعالى : ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا ﴾ (غافر ٨٥) .

وقوله تعالى : ﴿ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴾ (المدثر ٤٣ـ٤٤) .

وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴾ (القيامة ٣٧) .

وجاء سائر القرآن بالتمام ، وإنما جاز حذفها لسُكونها ، فإذا تحركت فلا سبيل إلى الحذف في فصيح الكلام .

وقد قالت العرب : لم أكُ ، ولم أُبَلْ ، وإنما يُنتهى في هذا إلى ما استعملت العرب ، ولا يقاس عليه .

٣٨) جاءت (هَلْ) في القرآن الكريم على أربعة أوجه :

أ - بمعنى : قد ، نحو قوله تعالى : ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ ﴾ (الإنسان ١) .

ب - بمعنى : هل الاستفهامية ، نحو قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُواْ نَعَمْ ﴾ (الأعراف ٤٤) .

جـ - بمعنى : الأمر ، نحو قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾ (الأنبياء ٨٠) ، وقوله تعالى : ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ (المائدة ٩١) ، أي اشكروا وانتهوا .

د - بمعنى : النهي ، نحو قوله تعالى : ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ (الرحمن ٦٠) .

٣٩) وجاءت (إنْ) في القرآن على خمسة أوجه :

أ - بمعنى : ما النافية، نحو قوله تعالى : ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴾ (النساء ١١٧) .

ب - بمعنى : (لمْ) ، نحو قوله تعالى :﴿ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا ﴾ (فاطر ٤١) .

وقوله تعالى :﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ ﴾ (الأحقاف ٢)

جـ - بمعنى : (قدْ) ، نحو قوله تعالى :﴿ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ (الشعراء ٩٧) .

وقوله تعالى : ﴿ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ﴾ (الصافات ٥٦) .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ ﴾ (الأنعام ١٥٦) .

د - بمعنى : (إذا) ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ (البقرة ٢٧٨) .

وقوله تعالى : ﴿ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ (آل عمران ١٣٩)

هـ - بمعنى : المصدر المخاطب به الكفار ، نحو قوله تعالى : ﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ (هود ٨٦) ، يعني إن آمنتم . وقوله تعالى : ﴿ أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا أَن كُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّسۡرِفِينَ ﴾ (الزخرف ٥) .

وقوله تعالى : ﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ (العنكبوت ١٦) .

٤٠) قال تعالى : ﴿ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (البقرة ٢٥٤) ، على جهة الحصر ، مع أن غيرهم ظالم أيضاً ، وذلك لأن ظلمهم أشد مكانةً لا ظالم إلا هم ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ (فاطر ٢٨) .

والمعنى : إنما يخشى الله حق خشيته العلماء .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ (التوبة ٦٧)

وكأنه لا فاسق إلا المنافقون ، ذلك لأن فسقهم أشنع وأكبر ، إذ هم يبطنون ما لا يظهرون .

٤١) حُكيَ أن أبا يوسف القاضي دخل على الخليفة ، وعنده الكسائي فقال له :

لو تفقهّت ياكسائي كان أنبَلَ بك ؟ .

فقال الكسائي : يا أبا يوسف ، إني سائلك عن مسألة .

قال : وما مسألتك ؟ .

قال : ما تقول في رجل أقرّ أن لفلان عليَّ مائة درهم ، إلا عشرة دراهم إلا درهماً ، كم ثبت عليه من الإقرار ؟ .

قال تسعة وثمانون درهماً .

قال الكسائي : أخطأت يا أبا يوسف ! .

قال : لم ؟ !.

قال : لأن الله تعالى قال في كتابه الكريم ﴿ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴾ (الحجر ٥٨ - ٦٠) .

أخبرني يا أبا يوسف : المرأة مستثناة من القوم أمْ من الآل ؟ .

قال : من الآل .

قال : فكم ثبت عليه من الإقرار ؟ .

قال أبو يوسف : صدقت ، ثبت عليه من الإقرار واحد وتسعون درهماً .

وفي القصة دلالة على أن فهم القرآن متوقف على معرفة العربية ومعاني حروفها وأدواتها .

٤٢) الطعن في القرآن ومعارضته أمرٌ قديم ، فأول من قام بمعارضة القرآن مسيلمة الكذاب ، حيث ادّعى النبوة ، وأن الوحي ينزل عليه .

فمن ذلك قوله : (والليل الأطخم ، والذئب الأدلم ، والجذع الأزلم ، وما انتهكت أُسيد من محرم) .

واجتمع مسيلمة مع سجاج بنت الحارث التي ادعت النبوة أيضاً ، فقالت له : ما أُوحي إليك ؟ .

فقال : (ألم تر كيف فعل ربك بالحُبلى ، أخرج منها نسمة تسعى ، ما بين صفاقٍ وحشا) .

قالت : فما بعد ذلك ؟ .

قال : أوحي إلى : (إن الله خلق النساء أفواجاً ، وجعل لهن أزواجاً ، فنولج فيهن قَعْساً إيلاجاً ، ثم نخرجها إذا شئنا إخراجاً ، فينتجن لنا سِخالاً نتاجاً) .

فقالت : أشهد أنك نبيٌّ .

وحكى القاضي عياض في كتابه (الشفا) :

أن ابن المقفع عارض القرآن أو طلب معارضته ، ورام ذلك ، فمرّ بصبي يقرأ : ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (هود ٤٤) ، فمحى ما عمل وقال : أشهد أن هذا لا يُعارض ، وما هو من كلام البشر .

وحُكي أيضاً : أن يحيى بن حكم الغزّال بليغُ الأندلس في زمانه، المتوفى سنه ٢٥٠هـ رام شيئاً من هذا ، فنظر في سورة الإخلاص ليحذو على مثالها ، وينسج بزعمه على منوالها .

قال : فاعترتني منه خشيةٌ ورِقّةٌ ، حملتني على التوبة والإنابة .

٤٣) جاء في القرآن الكريم (الفَعُول) الذي هو الفاعل ، ومن ذلك :

قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا ﴾ (الإسراء ٣) ، أي شاكراً

وقوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (آل عمران ٨٩) ، أي غافر راحم.

وقوله تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولاً ﴾ (الإسراء ١١) ، أي عاجلاً .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ (الأحزاب ٧٢) ، أي ظالماً جاهلاً .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴾ (العاديات ٦) .

٤٤) وجاء في القرآن (الفعيل) بمعنى الفاعل ، ومن ذلك :

قوله تعالى :﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾ (النساء ٦) ، أي حاسباً محاسباً .

وقوله تعالى :﴿ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ ﴾ (يس ٤٣) ، أي صارخ (المغيث) .

٤٥) بلى ، لها ثلاثة مواضع :

أن تأتي بعد استفهام منفي ، وأن تأتي بعد نهيٍ مجرد ، وأن تأتي بعد كلام منفي .

نحو قوله تعالى :﴿ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ ﴾ (البقرة ٢٦٠) ، وهنا جاءت بلى بعد استفهام منفي .

وقوله تعالى :﴿ أَلَيْسَ هَـٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ ﴾ (الأنعام ٣٠) .

وقوله تعالى : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ ﴾ (الأعراف ١٧٢) .

وأما ما جاء بعد النفي ، فنحو قوله تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ ﴾ (البقرة ١١١-١١٢) أي ليس كما يقولون ولكن من أسلم وجهه لله وهو محسن .

وقوله تعالى : ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ بَلَىٰ ﴾ (آل عمران ٧٥-٧٦) ، أي ليس كما يقولون ، من أنه ليس عليهم حرج في أخذ أموال الأميين ، ولكن عليهم حرجٌ .

٤٦) (بلْ) ، لها ثلاثة أوجه :

أولاً : استدراك غلط ، أو الرجوع عن جحد محض ، نحو قوله تعالى : ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ ﴾ (السجدة ١-٣) ، رد عليهم قولهم (افتراه) فقال : ﴿بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ .

يعني : ليس الأمر على ما يقولون ، بل هو الحق .

وقوله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾ (العنكبوت ٤٩) ، وقوله تعالى :﴿ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴾ (آل عمران ١٥٠) .

الثاني : ترك شيء من الكلام وأخذ غيره ، نحو قوله تعالى : ﴿ قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١ بَلْ عَجِبُوٓا۟ ﴾ (ق ١-٢) ، فترك الكلام الأول وأخذ بـ (بل) في الكلام الثاني .

وقوله تعالى :﴿ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ﴾ (ص ٨) .

ثالثاً : مبتدأة يليها اسم ، فشُبِّهت بالواو التي تأتي للاستئناف.

نحو قوله تعالى : ﴿ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٦٥ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ (الزمر ٦٥-٦٦) ، يعني فاعبد الله .

وقوله تعالى :﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾ (القيامة ١٤) أي : على الإنسان من نفسه بصيرة وشاهد ، وهو جوارحه .

٤٧) (ثمّ) ، لها خمسة مواضع :

الأول : مكان واو العطف ، نحو قوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا ﴾ (النساء ١٣٧) .

قال أهل التفسير والمعنى : إن الذين آمنوا في زمن موسى عليه السلام، ثم كفروا بعد موته ، ثم آمنوا بعُزير ، ثم كفروا بعيسى عليه السلام ، ثم ازدادوا كفراً ، حين كفروا بمحمد عليه السلام .

الثاني : مكان الابتداء ، نحو قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا ﴾ (فاطر ٣٢) .

وقوله تعالى :﴿ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ (الأنعام ١٥٤) .

الثالث : مكان (مع) ، نحو قوله تعالى :﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾(البلد ١٧) ، يعني : مع ذلك كان من المؤمنين .

الرابع : مكان (قبل) ، نحو قوله تعالى :﴿ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴾ (الصافات ٦٨) .

الخامس : بمعنى التعجب ، نحو قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴾(المدثر ١٥) .

٤٨) المراد بالمبهم في القرآن ، ما أشير إليه في آية من الآيات أو في قصة من القصص دون تحديد .

وللإبهام في القرآن أسباب منها :

الأول : الإبهام في موضع ، استغناءً ببيانه في موضع آخر في سياق الآية .

مثاله : قوله تعالى : ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ (الفاتحة ٤) ، مبيّن في قوله تعالى : ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ۝١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴾ (الانفطار ١٧ـ١٩) .

وقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ (الفاتحة ٧) ، مبيّن في قوله تعالى : ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ (النساء ٦٩) .

الثاني : أن يكون المبهم معيّناً بالشهرة ، كما في قوله تعالى : ﴿ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ ﴾ (البقرة ٣٥) ، فلم يقل حواء لأنه ليس

غيرها معه. وقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ ﴾ (البقرة ٢٥٨) ، حيث إن المرسل إليه هو النمرود ، معروف بالاشتهار .

وقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ ﴾ (يوسف ٢١) ، والمراد به العزيز .

وقوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ ﴾ (المائدة ٢٧) ، والمراد قابيل وهابيل .

وقوله تعالى: ﴿ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ (التوبة ١٠٨) ، فالمراد به مسجد قباء .

الثالث : قصد الستر على مرتكب الخطأ ليكون أبلغ وأعم وأدعى للقبول ، وهذا هو غالب ما في القرآن .

مثاله : قوله تعالى: ﴿ أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ﴾(البقرة ١٠٠) .

وقوله تعالى: ﴿ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ ﴾(البقرة ١٠٨) .

الرابع : ألا يكون في تعيينه كثير فائدة ، ومثاله : قوله تعالى : ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ (البقرة ٢٥٩) ، أُبهِمت القرية (قيل إنها بيت المقدس) .

وقوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ ﴾ (يونس ٩٨) ، قيل : إنها نينوى .

وقوله تعالى : ﴿ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ﴾ (الكهف ٧٧) ، قيل : إنها برقة .

الخامس : التعظيم بالوصف دون الاسم ، ومثاله : قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ ﴾ (النور ٢٢) ، حيث نزلت في أبي بكر الصديق ﷺ .

وقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ (الزمر ٣٣) ، فالذي ﴿ ٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ ﴾ الرسول ﷺ ، ﴿ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ هو أبو بكر الصديق ﷺ .

السادس : التحقير مع الوصف الناقص ، ومثاله : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا ﴾ (النساء ٥٦) .

وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾ (الكوثر ٣) ، والمراد فيها العاص بن وائل .

وقوله تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ (المسد ١) .

٤٩) أصل الجواب أن يعاد فيه نفس السؤال ، ليكون وفْقَه ، نحو قوله تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ ﴾ (يوسف ٩٠) ، فأنا في جوابه هو (أنت) في سؤالهم .

وكذا قوله تعالى : ﴿ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا ﴾ (آل عمران ٨١) ،فهذا أصله ، ثم إنهم أتوا عوض ذلك بحروف الجواب اختصاراً وترك التكرار .

وقد يحذف السؤال ثقة بفهم السامع بتقديره ، نحو قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ (يونس ٣٤) ، فإنه لا يستقيم أن يكون السؤال والجواب من واحد ، فتعيّن أن يكون ﴿ قُلِ ٱللَّهُ ﴾ جواب سؤال ، فكأنهم سألوا لَمّا سمعوا ذلك : مَنْ يبدأ الخلق ثم يعيده ؟! .

٥٠) إذا كان السؤال للتعريف تعّدى إلى المفعول الثاني تارة بنفسه ، وتارة بعَنْ ، وهو أكثر ، نحو قوله تعالى﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ﴾ (الإسراء ٨٥) .

وإذا كان لاستدعاء (حال) فإنه يعدّي بنفسه أو بمَنْ وبنفسه أكثر نحو قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ (الأحزاب ٥٣).

وقوله تعالى: ﴿ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ ﴾ (الممتحنة ١٠).

وقوله تعالى : ﴿ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ (النساء ٣٢).

لطائف قرآنية

١ قال تعالى :﴿ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ (البقرة ٢٣٣) .

لم يقل سبحانه وعلى الوالد أو الأب لأن الولد ينفع أباه أكثر مما ينفع أمه ، ولأنه يحمل أباه في المحافل ويدافع عنه في الحروب ولذا اختصت نفقة الولد بأبيه دون أمه ، فاللازم هنا (له) تستعمل في النفع ، (قاله العز بن عبد السلام) .

وقال أبو حيان في "البحر المحيط : أن اللام هنا (له) للتمليك ، فالولد شبه الملك لأبيه يتصرف في ماله وفي نفسه بما يختار غالباً .

وفي الحديث قال ﷺ : ((أنت وما تملك لأبيك)) .

وفي قوله (المولود له) دلالة على أن النفقة واجبة على مَنْ يكفل الوليد في حالة وفاة أبيه كجده ، أو أخيه أو عمه ، فالتعبير بذلك أشمل من التعبير بالأب .

٢ قال تعالى : ﴿ فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ (البقرة ٢٨٢) ولمْ يقل (أن تضل إحداهما فتذكّرها الأخرى) ، لأن المراد : أن الذاكرة تذكّر الناسية في أيّ زمان .

قال ابن الحاجب في أماليه النحوية : لأنها قد تكون الضالة الآن في الشهادة هي الذاكرة فيها في زمان آخر ، فالمذكّرة هي الضالة .

فعُلم أن العلة هي التذكير من إحداهما للأخرى ، كيفما قُدِّر ، وإن اختلفت ، وهذا المعنى لا يفيده إلا ما ذكرناه ، فوجب لذلك أن يقال : ﴿ فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ .

وتجدر الإشارة إلى أن معنى (الضلالة) هنا : هو النسيان ، وليس الغواية .

وهناك فرق كبير بين الضل والظل .

٣ قال تعالى : ﴿ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ ﴾ (المائدة ٥٢) .

في الآية : وعدٌ من الله تعالى لا يتخلّف ، لأن عسى في حق الله تعالى تدل على الوجوب ، بعكس ما هي عليه في حق العباد ، فهي تدل عندهم على الرجاء .

قال أبو عبيدة في "مجاز القرآن" : عسى الله : هي إيجابٌ من الله وهي في القرآن كلها واجبة ، فجاءت على إحدى لغتي العرب ، لأن عسى في كلامهم رجاء يقين.

٤ قال تعالى : ﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا ﴾ (يوسف ٢٣) .

فلم يسمِّ المرأة ، وإنما أتى بـ (التي) باسم الموصول ، وجعل صلته قوله تعالى : ﴿ هُوَ فِي بَيۡتِهَا ﴾ .

وهذا له فوائد كثيرة منها :

أ - إظهار عفة يوسف عليه السلام وكمال نزاهته ، فإن عدم ميله إليها ، وعدم استجابته لطلبها ، مع كونهما في بيت واحد بعيدين عن الشبهة ،ومع دوام مشاهدته لمحاسنها ، وكونه تحت ملكها ، كل ذلك يدل على بلوغه عليه السلام أعلى معارج العفة والنزاهة .

ب - جرأة امرأة العزيز وقوة شكيمتها ، بأن سعت إلى فتىً ربا في بيتها ، وعاش في كنفها ، تطلب منه حراماً .

قال صاحب كتاب الفوائد المشوق (العز بن عبد السلام رحمه الله) : وقد ذكر الله سبحانه وتعالى عن يوسف الصديق عليه السلام

من العفاف أعظم ما يكون ، فإن الداعي الذي اجتمع في حقه لم يجتمع في حق غيره :

أ - فإنه عليه السلام كان شاباً ، والشباب مركب الشهوة .

ب - وكان عزباً ، ليس عنده ما يعوضه .

جـ - وكان غريباً عن أهله ووطنه ، والمقيم بين أهله وأصحابه يستحي منهم أن يعلموا به ، فيسقط من عيونهم .

د - وكان في صورة المملوك ، والعبد لا يأنف مما يأنف منه الحر .

هـ - وكانت المرأة ذات منصب وجمال .

و - وكانت هي المطالبة ، فيزول بذلك كلفة تعرّض الرجل وطلبه وخوفه من عدم الإجابة .

ز - وكانت في محل سلطانها وبيتها ، بحيث تعرف وقت الإمكان ومكانه الذي لا تناله العيون .

ح - وكانت هي المغلقة للأبواب .

٥ قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ (الكهف ٨٢) ، بعد قوله تعالى : ﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ (الكهف ٧٨) .

وذلك لأن موسى عليه السلام كان غير عارف بأسباب أعمال العبد الصالحة الغريبة : من خرق للسفينة ،وقتل الغلام ، وبناء الجدار دون أجرة ، وكان يرى تلك الأعمال بالغة الفظاعة والغرابة فناسب أن يخاطبه العبد الصالح بما يلائم حاله ، فقال :﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ ، أي إن الأمر أيسر مما كنت تظن .

و (تسطع) أخف من (تستطيع) ، والزيادة في المبنى تدل على الزيادة في المعنى .

والقاعدة تقول : أنه يُقابل الأثقل بالأثقل ، كما يُقابل الأخف بالأخف .

٦ ومثال ذلك :

قوله تعالى :﴿ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ ﴾ (الكهف ٩٧) .

وقوله تعالى :﴿ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴾ (الكهف ٩٧) .

فما (اسطاعوا أن يظهروه) وهو الصعود إلى أعلاه .

(وما استطاعوا له نقباً) وهو أشق ، فقابل كلاً بما يناسبه لفظاً ومعنى.

٧ لم ترد في القرآن الكريم كلمة (الصوم) مراداً بها الصيام الشرعي المعروف ، وهو الإمساك عن الطعام والشراب والجماع .

وإنما وردت فيه مراداً بها الصمت .

كما في قوله تعالى على لسان مريم :﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَـٰنِ صَوْمًا ﴾(مريم ٢٦) .

أما الصوم الشرعي ، فقد عبر عنه القرآن الكريم بالصيام ، كما في قوله تعالى :﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة ١٨٣) .

٨ قال تعالى :﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ ﴾ (القصص ٢٠) .

الرجل : مؤمن آل فرعون ، (حزقيل) .

المدينة : مصر .

الزمان : زمن موسى عليه السلام .

الملأ : حاشية وبطانة فرعون مصر في ذلك الوقت .

وتجدر الإشارة إلى أن قول كثير من الناس عن الأمر الذي يشُمّ من ورائه مؤامرة : هذا الأمر فيه (إنّ) ، حيث أنه مأخوذٌ من آية القصص : ﴿ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ ﴾ .

٩ قال تعالى : ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ (سبأ ١٣) .

يقول الزركشي رحمه الله في "البرهان في علوم القرآن" : الحمد لله الذي ما قال (الشاكر) ، لأن الشاكر هو المثني بالقليل والكثير ، أما الشكور فصيغة مبالغة بمعنى :

الموفّي نعم الله حقها من الشكر ، ولذلك وصف الشكورين بالقلة ، لأن توفية نعم الله بالشكر صعبة الحصول ، فهي كثيرة ، ومهما حاول العبد شكرها فسيظل مقصراً .

قال الراغب الأصفهاني في المفردات : لذلك لم يُثْنِ الله تعالى بالشكر من أوليائه إلا على اثنين :

قال في إبراهيم عليه السلام شاكراً لأنعمه : ﴿ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ﴾ (النحل ١٢١) ، إذ هو مثنٍ على نعم الله .

وقال في نوح عليه السلام : ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ (الإسراء ٣) ، إذ هو مبالغ في الثناء عليها (نعم الله).

١٠ قال تعالى :﴿ إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾(الإنسان ٣) .

هنا : جعل الله سبحانه المبالغة في الكفر ولم يجعلها في الشكر ، إذ أن نعم الله على عباده كثيرة ، وكل شكر يأتي في مقابلتها قليل ، وكل كفر يأتي في مقابلتها عظيم .

فجاء الشكر بلفظ (فاعل) شاكر ، وجاء الكفر بلفظ (فعول) كفور ، على وجه المبالغة .

١١ قال تعالى :﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الحاقة ٤١ -٤٢) .

ختم الله تعالى الآية الأولى بقوله :﴿ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُون ﴾ ، لأن مخالفة القرآن لنظم الشعر ظاهرةً وواضحة لا تخفى على أحد .

فقول من قال : شعر ، عناد وكفر محض ، فناسب ختمه بقوله تعالى :﴿ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ ﴾ .

وختم الله عز وجل الآية الثانية بقوله :﴿ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ .

لأن مخالفة القرآن لنظم الكهان وألفاظ السجع ، تحتاج إلى تدبر وتذكر ، لأن كلاً منهما نثر ، فليست مخالفته لهما في وضوحهما

لكل أحد ، كمخالفة الشعر ، وإنما تظهر بتدبر ما في القرآن من الفصاحة والبلاغة والبدائع والمعاني الأنيقة ، فحسُن ختمه بقوله تعالى :﴿ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ .

١٢ قال تعالى : ﴿ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴾ (التكاثر ٢) ،سمع أعرابي رجلاً يقرأ هذه الآية فقال :بُعث القوم للقيامة ورب الكعبة . وقال علي بن أبي طالب ﷺ : ما زلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴾ (التكاثر ١ـ٢) .

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله : بعد أن قرأ هذه الآية : ما أرى المقابر إلا زيارة ، وما للزائر بُدّ من أن يرجع إلى منزله ، إما إلى جنةٍ أو نار .

فالتعبير عن الموت بالزيارة تعبيرٌ في غاية البلاغة عن كون الموت مرحلة برزخية ،ينتقل بعدها الموتى إلى دار أخرى ، فليست القبور دار استقرار ، ولا أهلها باقون فيها ، وإنما هم فيها بمنزلة الزائرين يحضرونها مدة ، ثم يرحلون عنها ، كما هو شأن الزائر ، يرحل ولو بعد حين .

فما أجمله من تعبير !.

١٣ في كل آية قرآنية اجتمع السمع والبصر ، قُدِّم السمع على البصر إلا في قوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ (الكهف ٢٦) .

وسرّ تقديم السمع على البصر ، الأمور التالية :

أ - لأن الجناية من حيث السمع الذي به تُتلقى الأحكام الشرعية ، وبه يتحقق الإنذار أعظم منها من حيث البصر الذي به تشاهد الأحوال الدالة على التوحيد ، فبيانها أحق بالتقديم وأنسب بالمقام (أبو السعود في تفسيره) .

ب - ولأن السمع شرط النبوة ، ولذلك ما بعث الله رسولاً أصمّ .

جـ - ولأن السمع وسيلة إلى استكمال العقل بالمعارف التي تُتلقف من أصحابها (أبو السعود) .

ولذا قال تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ ۚ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَلَوْ كَانُوا۟ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (يونس ٤٢-٤٣) .

ففي الآية دلالة على فضل السمع على البصر ، حيث جعل مع الصمم فقدان العقل ، ولم يجعل مع العمى إلا فقدان النظر .

د - ولأن الله تعالى يقدِّمه (السمع) ، حيث وقع .

هـ - وبالسمع تُنال سعادة الدنيا والآخرة ، فإن السعادة بأجمعها في طاعة الرسل والإيمان بما جاؤوا به ، وهذا إنما يدرك بالسمع .

و - ولأن العلوم الحاصلة من السمع أضعاف العلوم الحاصلة من البصر ، فإن البصر لا يدرك إلا بعض الموجودات المشاهدة بالبصر القريبة ، والسمع يدرك الموجودات والمعدومات ، والحاضر والغائب ، والقريب والبعيد ، والواجب والممكن والممتنع .

ز - ولأن فَقْد السمع يُوجب ثَلْم القلب واللسان ، ولهذا كان الأطرش خِلْقة لا ينطق في الغالب ، وأما فقد البصر فربما كان معيناً على قوة إدراك البصيرة وشدة ذكائها ، فإن نور البصر ينعكس إلى البصيرة باطناً فيقوي إدراكها ، ولهذا تجد كثيراً من العميان أو أكثرهم عندهم من الذكاء الوقاد والفطنة وضياء الحس ، مالا تكاد تجده عند البصير .

حـ - ولأنه ليس نقص فاقد السمع كنقص فاقد البصر ، ولهذا كثير في العلماء والفضلاء وأئمة الإسلام مَن هو أعمى ، ولم يُعرف فيهم أحد أطرش ، بل لا يُعرف في الصحابة أطرش .

١٤ المتأمل لكتاب الله تعالى يجد أن (الزوج) مراداً بها (الزوجة) لم ترد إلا في حق المؤمنين ، أما إذا كان أحدهما غير مؤمن فتستعمل لفظة (امرأة) كامرأة فرعون ، وامرأة نوح ، وامرأة لوط ، وامرأة أبي لهب .

وسِرّ ذلك في أمور منها :

أ - بسبب كونهن لسن أزواجاً لهم في الآخرة ، وإنما زواجهم في الدنيا فقط ، ولذلك ناسب عدم ذكر الزوجية ، وأبدل عنه بما يدل على الأنوثة فقط دون لفظ المشابهة والمشاكلة ، وهو لفظ (امرأة) .

ب - ولأن التزويج حليةٌ شرعية ، وهو من أمر الدين ، فجردها - أي امرأة أبي لهب مثلاً - من هذه الصفة ، كما جرد امرأة نوح ، وامرأة لوط ، فلم يقل زوج نوح .

جـ - ولأن لفظ الزوج مُشعِرٌ بالمشاكلة والمجانسة ، والاقتران وهذا غير متأت لغير المؤمنين ، حيث قطع الله سبحانه وتعالى المشابهة والمشاكلة بين الكفار والمؤمنين .

فقال الله تعالى :﴿ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ﴾ (الحشر ٢٠) .

وقطع سبحانه المقارنة بينهما في أحكام الدنيا ، فلا يتوارثان ولا يتناكحان ولا يتولى أحدهما صاحبه ، فكما انقطعت الصلة بينهما في المعنى انقطعت في الاسم .

ولذلك ورد في آية المواريث لفظ الزوج دون المرأة إيذاناً بأن هذا التوارث إنما وقع بالزوجية المقتضية للتشاكل والتناسب ، والمؤمن والكافر لا تشاكل بينهما ولا تناسب ، فلا يقع بينهما التوارث .

د - لم يرد لفظ (الزوجة) في حق المؤمنين إلا مع امرأتين : امرأة زكريا عليه السلام ، وامرأة إبراهيم عليه السلام .

فقال تعالى في حق امرأة زكريا عليه السلام :﴿ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا ﴾ (مريم ٨) .

وقال تعالى في حق امرأة إبراهيم عليه السلام :﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ﴾ (الذاريات ٢٩) .

وذلك لكونهما امرأتين لا تلدان ، فإحداهما عاقر ، والأخرى كبيرة آيسة .

واستعمال لفظ (المرأة) من قبل الزوجين (زكريا وإبراهيم عليهما السلام) في هاتين الآيتين هو انتفاء مستلزمات الزوجية بكبر السن وانقطاع الولادة.

لأن الحمل والوضع من مقتضيات الزوجية.

هـ - قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا ﴾ (آل عمران ٣٥).

هنا استعمل لفظ (امرأت)، والسبب انها كانت عاقراً لا تلد، فقد أمسك الله عنها الولد حتى أسنّت وشاخت، ثم إن عمران عليه السلام كان قد مات قبل تبين حمل زوجته وقبل ولادتها، بدليل قول امرأته: ﴿ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾ (آل عمران ٣٦)، إذ ليس من العادة أن تُسمّي المرأة مولودها.

ودليل آخر على موته قبلاً، هو قوله تعالى: ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ (آل عمران ٣٧)، ولا يُكفل إلا اليتيم.

١٥ لم ترد الأرض في القرآن الكريم إلا مفردة، حتى إنه تعالى لما أراد الإشارة إلى تعددها قال: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾ (الطلاق ١٢).

وسِرّ ذلك في الأمور التالية :

أ - سبب معنوي ، قاله ابن جني في "الخاطريات" :

أن السماء بعيدة عنا ، فلسنا نشاهد حالها فنعلم اتصال بعضها ببعض ، كاتصال أجزاء الأرض بعضها ببعض ، ألا ترى أن السهل والجبل والوادي والبحر والبر لا تجد شيئاً من أجزائه منفرداً عن صاحبه ، ونحن لا نعلم هذا من حال السماوات ، كما علمنا ، وتحققنا من حال الأرض ، فلاق بالأرض أن تأتي بلفظ الإفراد ، ولاق بالسماء أن تأتي بلفظ الجمع تارة وبلفظ الإفراد مرة أخرى .

ب - ولأن الأرض لا نسبة لها إلى السماوات في سعتها ، بل هي بالنسبة إليها كحصاة في صحراء ، فهي وإن تعددت وكبرت ، بالنسبة إلى السماء كالواحد القليل ، فاختير لها اسم الجنس ، ولذا استعملت الأرض مفردة ، والسماوات مجموعة .

جـ - وسبب لفظي ، أننا لو جمعنا الأرض جمع تكسير فقلنا آرْض (كأفلُس) ، أو آراض (كأجمال) ، أو أرُوض (كفلوس) ، فهذه الجموع ثقيلة ، بعكس جمع السماء ، فهو عذبٌ حسن .

فنحن نجد السمع ينبو عنه بقدر ما يستسحن لفظ السماوات .

ولفظ السماوات يلج في السمع بغير استئذان لنصاعته وعذوبته .

١٦ قال تعالى : ﴿ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ (البقرة ١٩٦) .

قيل إنَّ الحجاج بن يوسف الثقفي ، قال لرجل من ولد عبد الله بن مسعود ﷺ وعن صحابة رسول الله ﷺ :

لِمَ قرأ أبوك ـ يعني عبد الله بن مسعود ﷺ ـ (إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة أنثى) ، أتُرى لا يعلم الناس أن النعجة أنثى ؟!

فقال : قد قُرِيء قبله ﴿ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾ (البقرة ١٩٦) ، ألا يُعلم أن سبعة وثلاثة عشرة ؟! .

فما أحار الحجاج !!! .

١٧ قال تعالى في حق أموال اليتامى : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾ (النساء ٢) .

هنا النهي في الآية جاء عن مس مال اليتيم بأي وجه من الوجوه غير الجائزة سواء أكان بالأكل أو اللباس أو النكاح أو غيرها .

ولكن خُص الأكل بالتنبيه عليه ، لأن العرب كانت تكره الإكثار من الأكل وتذم به ، وتعد البطنة من البهيمية ، وتعيب على من اتخذها ديدنه .

ولذلك غضب الزبرقان بن بدر ﷺ من قول الحطيئة :

دع المكارم لا ترحل لبُغيتها

واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي .

وغير الحطيئة قال :

يا بني المنذر بن عبدان

والبطنة مما يُسفه الأحلاما .

فقد ورد عن معاوية بن أبي سفيان ﷺ قوله :

"البطنة تأفن (تُذهِب) الفطنة" .

١٨ قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ﴾ (القصص ٢٠)

ورد أن محمود بن صالح بن مرداس صاحب حلب أمر كاتبه أبا نصر محمد بن الحسين بن على النحاس الحلبي، أن يكتب كتاباً إلى سديد الملك أبي الحسن على بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني ، يتشوقه فيه ويستعطفه ويستدعيه إليه .

وكان سديد الملك صديقاً للنحاس الحلبي ، وكان الحلبي يعرف أن سيده يريد بصديقه شراً ، فكتب كما أمره سيده ، إلى أن بلغ آخر الكتاب ، وكان قوله (إن شاء الله تعالى) فشدّد الكاتب نون (إنْ) وفتحها ، فصارت (إنَّ) .

فلما وصل الكتاب إلى سديد الملك عرضه على ابن عمّار صاحب طرابلس ومن بمجلسه من خواصه ، فاستحسنوا عبارة الكاتب واستعظموا ما فيه من رغبة محمودٍ فيه ، وإيثاره لقربه .

فقال سديد الملك : إني أرى في الكتاب مالا ترون .

ثم أجابه عن الكتاب بما اقتضاه الحال ، وكتب في جملة الكتاب (أنا الخادم المقر بالإنعام) ، وكسر همزة (أنا) وشدد النون ، فصارت (إنّا الخادم المقر بالإنعام) .

فلما وصل الكتاب إلى محمود ، ووقف عليه الكاتب النحاس الحلبي ، سُرّ بما فيه ، وقال لأصدقائه : قد علمت أن الذي كتبته لا يخفى على سديد الملك ، وقد أجاب بما طيب نفسي .

وكان الكاتب النحاس الحلبي قد قصد قوله تعالى :﴿ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ (القصص ٢٠) .

فأجاب سديد الملك بقوله تعالى :﴿ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ﴾ (المائدة ٢٤).

❁❁❁

ثبت بأهم المصادر والمراجع

١) قواعد مهمة يحتاج إليها المفسِّر ـ للسيوطي .

٢) شروط المفسِّر وآدابه ـ للسيوطي .

٣) التيسير في قواعد علم التفسير ـ لمحمد الكافيجي .

٤) المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى ـ لأبي النصر السمرقندي .

٥) أصول التفسير ومناهجه ـ لفهد الرومي .

٦) الدر النثير في أصول التفسير ـ لزكي الحسيني .

٧) مقدمة في أصول التفسير ـ لابن تيمية .

٨) أصول التفسير ـ لابن عثيمين .

٩) مقدمة في علم التفسير ـ للدهلوي .

١٠) بصائر ذوي التمييز ـ للفيروز آبادي .

١١) البرهان في علوم القرآن ـ للزركشي .

١٢) النكت والعيون ـ للماوردي .

١٣) بحر العلوم ـ لأبي الليث .

١٤) معالم التنزيل ـ للبغوي .

١٥) الكشاف ـ للزمخشري .

١٦) مجالس ووقفات مع كتاب الله عزوجل ـ لزيد الرماني .

١٧) دروس وفوائد من القرآن وعلومه ـ لزيد الرماني .

١٨) الفوائد المشوق ـ للعز بن عبد السلام .

١٩) نظرات لغوية في القرآن ـ لصالح العايد .

٢٠) تفسير ابن كثير .

٢١) فتح الرحمن بكشف ما يُلتبس في القرآن ـ للأنصاري .

٢٢) غرائب آي التنزيل ـ للرازي .

٢٣) الاقتباس من القرآن الكريم ـ للثعالبي .

٢٤) فوائد في مشكل القرآن ـ للعز بن عبد السلام .

٢٥) ثمار القلوب ـ للثعالبي .

٢٦) مفحمات الأقران في مبهمات القرآن ـ للسيوطي .

٢٧) المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث ـ للمديني .

٢٨) أسرار التكرار في القرآن ـ للكرماني .

٢٩) التبيان في أقسام القرآن ـ لابن القيم الجوزية .

٣٠) عجائب القرآن ـ للرازي .

الفهرس العام

مقدمة.. ٥
أحسن طرق التفسير.. ٩
شروط المفسِّر وآدابه.. ١٥
إحاطة المفسِّر بعلوم مختلفة... ١٧
قواعد تفسيرية.. ٢٣
وقفات قرآنية.. ٥٩
لطائف قرآنية.. ١٠٣
ثبت بأهم المصادر والمراجع.. ١٢١
الفهرس العام.. ١٢٣
للقارىء رأيه.. ١٢٥

للقارىء رأيه

❖ يقول ابن قيم الجوزية (رحمه الله) في كتابه "مدارج السالكين" : أيها القارىء له : ما وجدت فيه من صواب وحق فاقبله ولا تلتفت إلى قائله ، بل انظر إلى ما قال ، لا إلى من قال ، وما وجدت فيه من خطأ ، فإن قائله لم يأل جهد الإصابة ، ، ويأبى الله إلا أن ينفرد بالكمال .

❖ وكما قيل :

والنقص في أصل الطبيعة كامن
فبنو الطبيعة نقصهم لا يجحد

❖ ويقول يحي بن خالد : لا يزال الرجل في فسحة من عقله ، ما لم يقل شعراً ، أو يصنف كتاباً .

لهذا كله يأمل الباحث تزويده بالملحوظات والآراء ليستفيد منها في بحوثه المستقبلية .

د. زيد بن محمد الرماني
ص.ب : ٣٣٦٦٢الرياض ١١٤٥٨
المملكة العربية السعودية

وكلاء التوزيع

في كافة أنحاء المملكة

دار طويق و مؤسسة الجريسي

هاتف الجريسي ٤٠٢٢٥٦٤ فاكس ٤٠٢٣٠٧٦

في قطـــــــر

مكتبة ابن القيم – ت/ ٤٨٦٣٥٣٣ / ٤٨٧٣٥٣٣

في اليمـــــن

دار القدس – ت/ ٢٠٦٤٦٧

في البحـريـــن

مؤسسة الأيام للصحافة – ت/ ٧٢٥١١١ (المنامة)

في لبنـــــان

مؤسسة الريان – ت/ ٧٠٥٩٢٠/ ٠١ – ف/ ٦٥٥٣٨٣/ ٠١ –

جـ/ ٠٠٩٦١٣٢٠٧٤٨٨ البريد الإلكتروني ALRaYAN@cyberia.net.lb

في مصـــــر

مكتب دار طويق – القاهرة ت/ ٤٥٩٤٦٧٩ محمول/ ٠١٢٢٩٦٤٨٣٦

في الســـــودان

مكتب دار طويق – الخرطوم – السوق العربي ت/ ٧٩٠١٣٤

في الكويت لدى المكتبات التالية

الإمام الذهبي ت/ ٢٦٥٧٨٠٦ **دار طيبة** ت/ ٩٦٣٥٥٣٢

شركة المجموعة الكويتية ت/ ٢٤٠٥٣٢١ **المنار الإسلامية** ت/ ٢٦١٥٠٤٥

في الإمارات لدى المكتبات التالية

دبي للتوزيع – ت/ ٢١١٩٤٩ **المروج للإنتاج الفني** – ت/ ٣٣٣٩٩٩٨

مركز مكة للكتاب والشريط الإسلامي – الشارقة – ت/ ٥٠٦٣٢٢٨٨٢